دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

| | |
|---|---|
| العنوان: | أنماط الجملة الإعرابية في القرآن الكريم دراسة في التركيب النحوي لسورة النساء |
| المؤلف الرئيسي: | حسين، دفع االله حمد االله |
| مؤلفين آخرين: | بابكر، أحمد خالد(مشرف) |
| التاريخ الميلادي: | 2002 |
| موقع: | أم درمان |
| الصفحات: | 1 - 451 |
| رقم MD: | 662489 |
| نوع المحتوى: | رسائل جامعية |
| الدرجة العلمية: | رسالة ماجستير |
| الجامعة: | جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية |
| الكلية: | كلية الدراسات العليا والبحث العلمي |
| الدولة: | السودان |
| قواعد المعلومات: | Dissertations |
| مواضيع: | القرآن الكريم، إعراب القرآن، النحو العربي، التراكيب النحوية، السور و الآيات |
| رابط: | http://search.mandumah.com/Record/662489 |

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

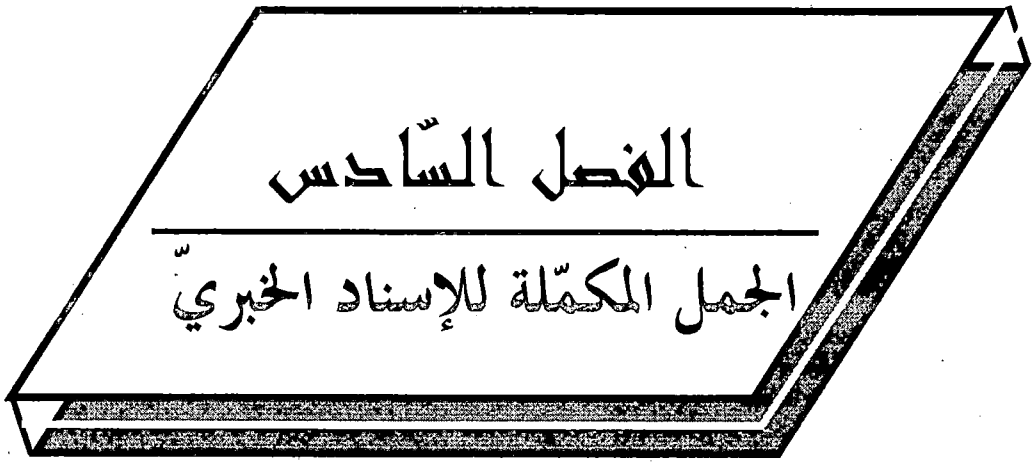
الفصل السّادس
الجمل المكمّلة للإسناد الخبريّ

## محتويات الفصل السّادس ( ٢٦٠ - ٣١٦)


- توطئـــــة
- المبحث الأوّل: جملة الجواب
- المبحث الثّاني: جملة الحال
- المبحث الثّالث: جملة الصّلة
- المبحث الرّابع: جملة الاستثناء
- المبحث الخامس: جملة القصر

## تمهيـــــــــة

تناول الباحث في الفصل الثّاني من هذه الدّراسة الجملة الخبريّة، وفي الفصل الثّالث الجملة الفعليّة، وفي الفصل الرّابع الجملة الإنشائيّة، وفي الفصل الخامس الجملة الشّرطيّة؛ حيث تعرّض لكلّ واحدة منها، شارحاً لها، مفصّلاً القول فيها. وبذلك قد اكتمل عقد الجمل الّتي أريد التّطرّق إليها بالحديث.

وهذا الفصل، وهو السّادس؛ اختاره الباحث ليكون مطيّة يعبر بها إلى الجمل المكمّلة للإسناد الخبريّ.

فمن المُسلّم به في التّركيب النّحويّ لسورة النّساء، أنّ هناك بعض الأدوات والأفعال والأسماء والجمل؛ لا تقف وحدها، في أداء المعنى داخل البناء الجُمَليّ للسّورة. لكنّها تتّصل -قبلها أو بعدها- بجمل أخرى توجد معها في السّياق؛ تعمل على إكمال معناها.

هذه الجمل، إلى جانب تلك، تعمل على إضفاء معاني جديدة، ودلالات أخرى للنّسيج النّحويّ للسّورة، ولذا سمّيت الجمل المكمّلة للإسناد الخبريّ.

ويكاد القارئ يحسّ أنّ هذه الجمل ليس المقصد الأوّل منها هو أداء الكلام على ذلك النّحو، وإنّما المقصد هو إكمال المعنى وتوضيحه. فضلاً عن دورها في إبراز العلاقة الإسناديّة الّتي تربط بين الفعل والفاعل، أو بين المبتدأ والخبر، أو ما قام مقامهما، وعمل عملهما في البناء التّركيبيّ للجملة العربيّة.

وهذه الجمل؛ إذا تمّ تناولها من خلال الجملة الخبريّة، أو الفعليّة، أو الإنشائيّة، أو الشّرطيّة، الّتي مرّ الحديث عنها؛ فإنّ هذا التّناول المجمل من شأنه أن يُغيّب دورها، ولا يُظْهِر حقيقة بنائها، والغرض من ورودها ههنا.

لذا يرى الباحث ضرورة تناولها في فصل خاصّ بها؛ حتّى يتمكّن من بيان دلالاتها، ويعمل على تحليل أنماطها من خلال عرض التّركيب النّحويّ للسّورة.

هذا، والجمل المكمّلة للإسناد الخبريّ، والّتي حفلت بها السّورة؛ وساهمت هذه الجمل في بناء التّركيب النّحويّ لها؛ هي:

- ١/ جملة الجواب.
- ٢/ جملة الحال.
- ٣/ جملة الصّلة.
- ٤/ جملة الاستثناء.
- ٥/ جملة القصر.

وسوف يفرد الباحث لكل جملة مما ذكر مبحثًا خاصًّا بها، يتناول فيه التّفريعات الّتي تبرز السّمة المميّزة لكلّ جملة، ثمّ يفيء إلى سورة النّساء للنّظر في مستوى ورود هذه الجمل فيها.

هذا؛ والمباحث الّتي تكشف لنا كلّ هذا وتقرّبه إلى أفهامنا، تبدو على النّحو الّذي يرد تباعًا.

# المبحث الأوّل

## جملة الجواب

يقتضي الحديث أحياناً عبارات محدّدة، تُشْعِرُ المتكلّم أنّ السّامع قد فَهِمَ مرادَه من الحديث، وسيعمل بمقتضاه.

هذه العبارات تشعر بالجواب عن سؤال ما، أو ما جاء في معناه.

وتأتي هذه العبارات بِعدّة ألفاظ هي:

| | |
|---|---|
| ١/ نعم | ٢/ بلى |
| ٣/ لا | ٤/ أجل |
| ٥/ إذن | |

ولكلّ لفظ من هذه الألفاظ معناه وشروطه؛ يَحْسُن بنا الإلمام والإحاطة بها؛ ثمّ من بعد ذلك يورد الباحث أنماط ما جاء منها في سورة النّساء. يتمّ ذلك من خلال المطالب الآتية:

### ○ المطلب الأوّل: الجواب (نعم):

تحدّث عنها سيبويه في كتابه بعد الحديث عن (بلى)، فقال: "وأمّا (نعم) فعِدَةٌ وتصديق، تقول: قد كان كذا وكذا، فيقول: نعم، وليسا اسمين. فإذا استفهمت فقلت أتفعل؟ أجبت بنعم. فإذا قلت: ألست تفعل؟ قال: بلى"(١).

وتولّى المالقيّ مقالة سيبويه هذه، فشرحها في (رصف المباني)؛ فقال: "اعلم أنّ (نعم) معناها العِدَة والتّصديق، وهي حرف جواب لما قبلها أبداً، إلاّ أنّها إنْ كان ما قبلها طلباً فهي عِدَةٌ لا غير، وإنْ كان ما قبلها خبراً فهي تصديق لا غير. فمثال الأوّل أن تقول في جواب من قال: أتضرب زيداً أو هل تضرب زيداً أو ألاَ تضرب زيداً، ونحو ذلك من أنواع الطّلب، نعم: والمعنى الإخبار بفعل الضّرب ووعد السّائل به. ومثال الثّانية: أن تقول في

---

(١) الكتاب: ٤/٢٣٤

جواب من قال: ضربت زيداً أو قتلت عمراً أو نحو ذلك من الإخبار نعـــم...، وهي في الجواب نقيضة لا النّافية، ونقيضة بلى. وهي توجب لا غـــير، ولا يقع قبلها المنفي"[١].

ويرى الباحث أنّ المالقيّ قد أبان شروط عمل (نعم) إلى جانب تـأكيده على معناها. هذه الشّروط تبدو كما يلي:

- ١/ هي حرف جواب لما قبلها أبداً.
- ٢/ تعمل (نعم) تبعا لما قبلها.
- ٣/ إذا كان ما قبلها طلباً؛ فهي بمعنى عدّة لا غير.
- ٤/ وإن كان ما قبلها خبراً؛ فهي تصديق لا غير.

أمّا ابن هشام؛ فقد أعطانا معنى آخر للجواب بـــ (نعـم)، وكشـف مواطن جديدة تستعمل فيها؛ فهي عنده "حرف تصديق ووعد وإعلام، فـالأوّل بعد الخبر كقام زيد، وما قام زيد، والثّاني بعد افعل وتفعل وما في معناهمـــا نحو هلا تفعل وهلا لم تفعل، وبعد الاستفهام في نحو هل تعطيني..، والثّـالث بعد الاستفهام في نحو هل جاء زيد"[٢].

وقيل: وتأتي للتّوكيد إذا وقعت صدراً نحو "نعم هذه أطلالهم"، "والحـقّ أنّها في ذلك حرف إعلام، وأنها جواب لسؤال مقدر"[٣].

هذا، وقد بدأ الباحث في جملة الجواب بـ (نعم) ولم يبدأ بـــ (بلـى)؛ جريًا على ما هو حادث اليوم بين المتكلّمين بالعربيّة. إذ إنّ الجواب بـ (نعم) هو الأكثر استعمالاً وانتشاراً من (بلى).

وإن كانت ثمّة نقطة يمكن الإشارة إليها هـــهنا؛ فـهي عـدم إحسـان المتكلّمين لذلك؛ إذ يضعون (نعم) مكان (بلى)، وهو الأكثر، ويضعون (بلـى)

---

(١) رصف المباني: ٢٣٤/٤

(٢) مغني اللبيب: ٣٨١

(٣) المصدر نفسه: ٣٨١

مكان (نعم). وهذا الفعل منهم من قبيل وضع الأشياء في غير موضعها المناسب؛ لا أقول غير الصّحيح، ولله درّك يا متنبّي حين قلت[١]:

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالعُلَا

مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

**٥ المطلب الثّاني: الجواب (بلى):**

تولّى سيبويه بيان معناها، فقال: وأمّا (بلى) فتوجب به بعد النّفي[٢]. وهو ذات المعنى الّذي ردّده المبرّد في (المقتضب): وبلى لا تكون جواباً إلاّ لكلام فيه نفي[٣].

وسار النّحاة: قدماء ومحدثون على ما خطّ سيبويه؛ فقرّروا أنّ (بلى) تختصّ بالنّفي، وتفيد إبطاله سواء أكان مجرّداً؛ نحو قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾[٤].. أو مقروناً بالاستفهام، يستوي في ذلك إنْ كان الاستفهام:

- ١/ حقيقيّاً، نحو: أليس زيد بقائم؟ فتقول: بلى.
- ٢/ أو توبيخيّاً؛ كقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾[٥].
- ٣/ أو تقريريّاً، نحو: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[٦].

أمّا ابن هشام؛ فقد أشار إلى إمكانيّة ورود (بلى) مع الاستفهام المجرّد من النّفي، فقال: "ويُشكِلُ عليهم أنّ (بلى) لا يُجاب بها الإيجاب، وذلك متّفق عليه"[٧].

---

(١) ديوان المتنبّي: ٢٨٨/١

(٢) انظر الكتاب: ٢٣٤/٤

(٣) انظر المقتضب: ٣٣٢/٢، وانظر كذلك حروف المعاني: ٦، مغني اللّبيب: ١٢٠-١٢١، رصف المباني: ٢٣٤

(٤) سورة التّغابن: الآية (٧)

(٥) سورة القيامة: الآية (٣)

(٦) سورة الأعراف: الآية (١٧٢)

(٧) مغني اللّبيب: ١٢١

وذكر أنّ ذلك قد وقع في كتب الحديث. واستشهد بحديث ورد في (كتاب الإيمان) من صحيح البخاريّ، أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال لأصحابه: "**أترضون أن تكونوا رُبْعَ أهل الجنّة؟**" قالوا: بلى[١].

وأورد حديثاً آخر ورد في (كتاب الهبة) من صحيح مسلم: "**أيسرّك أن يكونوا لك في البرّ سواء؟**" قال: بلى، قال: "**فلا إذن**"[٢]. وفيه أيضاً أنّه قال: "**أنت الّذي لقيتني بمكّة**[٣]؟" فقال المجيب: بلى.

ومن هذه الأحاديث نستخلص أنّه يجوز الجواب بـ (بلى) في الإيجاب؛ فقد سُمِعَ ذلك عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وعمّن سألهم.

وكم يأسى الباحث من صنيع ابن هشام؛ إذ جعل في صُلب حديثه عن هذه القضيّة قوله: "وليس لهؤلاء أن يحتجّوا بذلك؛ لأنّه قليل فلا يتخرّج عليه التّنزيل"[٤]. وهو الّذي تفرّد بذكر الجواب بـ (بلى) في الاستفهام المجرّد دون سائر النّحاة.

وكان يتعيّن عليه أن يقول بجواز الأمرين: ورود (بلى) جواباً للاستفهام المنفي وهو ما عليه لغة التّنزيل، ووروده كذلك جواباً للاستفهام المجرّد؛ وقد اطّرد هذا في الحديث الشّريف.

ولعلّ أحسن ما رأيت في الفرق الدّلاليّ بين (نعم) و (بلى)، ما أخرجه المالقيّ في الإجابة عن الآية: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[٥]. قال بعضهم: "إنّهم لو قالوا نعم لكان كفراً، يريد: أنّهم لو قالوا (نعم) لصدّقوا النّفي فكفروا، و (بلى) تنفيه وتوجب الجواب، فيكون المعنى على (نعم): لست ربّنا: وعلى (بلى): بل أنت ربّنا"[٦].

---

(١) انظر **فتح الباري**، باب الحشر، في كتاب الرّقاق: ٣٧٨/١١، وانظر **كتاب الإيمان**: ٥٢٥/١١

(٢) صحيح مسلم: ١٢٤٤/٣

(٣) صحيح مسلم: ١٢٤٦/٣

(٤) مغنى اللّبيب: ١٢١/١

(٥) سورة الأعراف: الآية (١٧٢)

(٦) رصف المباني: ٤٢٦

ونخلص من هذا أنّ (نعم) لا تقع في مواضع (بلى)، وأنّ (بلى) تقع في مواضع (نعم). والقيد بين الاثنين هو عدم وقوع الموجب قبل (نعم). ويرى بعضهم أنّه قد يقع كلّ واحد منهما موضع الآخر. وعلى ذلك جاء قول الشّاعر[١]:

أَلَيْسَ اللَّيْلُ يَجْمَعُ أُمَّ عَمْرٍو * وَإِيَّانَا فَذَاكَ بِنَا تَدَانِى
نَعَم، وَتَرَى الهِلاَلَ كَمَا أَرَاهُ * وَيَعْلُوهَا النَّهَارُ كَمَا عَلاَنِى

وبدا في البيت أنّ (نعم) ناسَبَتْ الجواب وقد سبقها نفي؛ أخذ موقعه في صدر البيت الأوّل، ولو قال (بلى) لجاز.

ويرى الباحث أنّ الشّاعر قيّدته الموسيقى الدّاخلية لِنَظْمِهِ هذا؛ فالنّون من قوله (تدانى) قد جاءت متلوّة بحرف ساكن في ذات الفعل (تدانى)؛ وهذه النّون تُوحي بأنْ تكون (نعم) في صدر البيت الثّاني؛ لا (بلى) ليكتمل التّناغم الموسيقي النّاتج عن الرّنين الكامن في حرف النّون. وهذا لا يتمّ إلاّ إذا وُضِعَتْ (نعم) في الموضع الّذي هي فيه من هذا البيت. أمّا المعنى فلا يتأثّر بذلك؛ لتقارب الدّلالة عليه بين (نعم) و (بلى).

**● المطلب الثّالث: الجواب (لا):**

أكثر سيبويه الحديث عن (لا) في كتابه؛ حيث عرض لأنواعها ودلالاتها وإعرابها. وليس للباحث حظٌّ في كلّ هذا؛ إلاّ ما جاء عن (لا) الّتي تكون في الجواب؛ والّتي قال عنها: "وتكون لا ضدّاً لنَعَم وبلى"[٢].

وتحدّث عنها المراديّ ضمن (لا) النّافية غير العاملة، فبعد أن بيّن (لا) العاطفة. تحدّث عن هذه بقوله: "والجوابيّة: نقيضة (نعم). كقولك: (لا) في جواب: هل قام زيد؟ وهي نائبة مناب الجملة"[٣].

---

(١) البيتان لجَحْدر كما جاء في **المغنى**:٣٨٣، **أمالي القالي**: ٢٧٨/١، **الخزانة**: ٤٨٠/٤

(٢) **الكتاب**: ٢٢٢/٤

(٣) **الجنى الدّاني**: ٢٩٦

واستفاد المراديّ من الظّرف الّذي هو فيه؛ فقال: بفساد زعم ابن طلحة[١] أنّ الكلمة الواحدة، وجوداً وتقديراً، تكون كلاماً، إذا نابت مناب الكلام. نحو: (نعم) و (لا) في الجواب.

ويرى الباحث أنّ المراديّ وابن طلحة كليهما لم يبعدا عن الحقيقة؛ فالأوّل يرى أنّ (لا) نائبة مناب الجملة المقدرة بعدها، والثّاني يرى أنّ (لا)، وهي الكلمة الواحدة؛ تكون كلاماً: وجوداً وتقديراً.

وهذا الخلاف؛ لا محلّ له، إذا نُظر من خلال رأي ابن هشام. فقد رأى (لا) النّافية من خلال خمسة أوجه، ومنها: "أن تكون جواباً مناقضاً لنعم، وهذه تُحذَفُ الجملُ بعدها كثيراً، يقال: (أجاءك زيد؟) فتقول: (لا) والأصل: لا لم يجيء"[٢].

وهذا الحذف -على رأي ابن طلحة- يُخوّل لها، وهي كلمة واحدة، أن تحلّ محلّ الجمل، وتنوب منابها.

## ۞ المطلب الرّابع: الجواب (أجل):

أشار إليها سيبويه في كتابه إشارة عابرة في باب "الظّروف المبهمة غير المتمكّنة" ولمّا فرغ من تَعدادها، وذكر أنّها لمّا كانت غير متمكّنة شُبّهت بالأصوات وبما ليس بِاسْم ولا ظرف، أخذ يتحدّث عن إعرابها إلى أن انتهى إلى قوله: "وإنْ كان الحرف الّذي قبل الآخر متحرّكاً أسكنوه كما قالوا: هَلْ، وبَلْ، وأجَلْ، ونَعَمْ"[٣].

وهكذا -كما رأينا- ألمّ بها تلك الإلمامة اليسيرة؛ دون أن يشير إلى دلالاتها، والمواضع الّتي تَحْسُنُ فيها.

---

(١) هو أبو بكر بن محمّد طلحة الأشبيليّ. توفّي سنة ٦١٨هـ. انظر **بغية الوعاة**: ١/١٢١

(٢) **مغني اللّبيب**: ٢٦٧

(٣) **الكتاب**: ٣/٢٨٦

أمّا المالقيّ؛ فقد أبان شيئاً من أحوالها، إذ قال: "اعلم أنّ لـ (أجل) في الكلام موضعاً واحداً، وهو أن تكون جواباً في الطّلب والخبر، فتقول لمن قال: هل قام زيد؟ أجل، ولمن قال خرج عمر: أجل"(١).

أمّا من حيث معناها في الجواب؛ فهي التّصديق للخبر والتّحقيق للطّلب(٢).

وقد جاءت (أجل) على هذا المعنى في قول الشّاعر(٣):

لَوْ كُنْتَ تُعْطِي حِيْنَ تُسْأَلُ سَامَحَتْ
لَكَ النَّفْسُ وَاخْلَوْلَاكَ كُلُّ خَلِيلِ
أَجَلْ، لَا، وَلَكِنْ أَنْتَ أَشْأَمُ مَنْ مَشَى
وَأَثْقَلُ مِنْ صَمَاءَ ذَاتِ صَلِيلِ(٤)

ويلحظ القارئ التّقارب بين (نعم) و (أجل) في المعنى، والأخيرة لا تكن جواباً للنّفي، ولا للنّهي ولا تجيء جواباً للاستفهام(٥).

ويرى الأخفش: "أنّها تكون في الخبر والاستفهام، إلّا أنّها في الخبر أحسن من (نعم)، و (نعم) في الاستفهام أحسن منها". فكأنّما (نعم) - في نظر الباحث – هي المنزلة بين المنزلتين: تلتقي مع (بلى) من جهة، من حيث الدّلالة، وتلتقي مع (أجل) من جهة أخرى. أما (بلى) و (أجل) فلا نرى فيهما ما نراه في (نعم). ولذلك كانت (نعم) هي الأشهر والأكثر استعمالاً، لذلك فهي أمّ الباب لعبارات الجواب والأقرب إلى تناول المتكلّمين.

---

(١) **رصف المباني**: ١٤٧

(٢) انظر **الجنى الدّاني**: ٣٥٩-٣٦٠، **رصف المباني**: ١٤٨، **همع الهوامع**: ٧١/٢

(٣) لم أهتدِ إلى قائل هذين البيتين، وهما في **أمالي القالي**: ١٦٨/٢، برواية ابن الأعرابي. حيث تروى (ألأم) في محلّ (أشأم)، (وأسأل) في محل (أثقل)، وهو في **المنصف**: ٨٢/١

(٤) **الصّماء**: الأرض. والصّليل: صوت دخول الماء فيها

(٥) انظر **الجنى الدّاني**: ٣٦١، **رصف المباني**: ١٤٨

## ٥ المطلب الخامس: الجواب (إذاً):

تحدّث سيبويه عمّا جاء على ثلاثة أحرف؛ حيث تناول (على) و (إلى) و(حسب) و (لكن) و (كيف) و (أي) و (ليت) و (لعل) و (عسى) و (لدن) و (لدى) و (بلى) و (نعم) وغيرها؛ حتى وصل (إذن)، فكان حديثه فيها موجزاً، حيث قال: "وأما (إذن) فجواب وجزاء"(١).

أمّا المبرّد؛ فقد سار على هدي سيبويه؛ حتّى إذا ما انتهى، قال: "فهذه حال إذن إلى أن نفرد باباً لمسائلها إن شاء الله"(٢).

وكم حَسُنَ عندي أنّه استثنى. لأنّه لم يعد إليها في (المقتضب) أبداً! يبدو أنّه وجد نفسه في شغل من عويص مسائل النّحو؛ فاكتفى بما ذكر دون العودة إليها.

وتحدّث عنها الزّجّاجيّ في (حروف المعاني) فقال: "إذن جواب وجزاء، كقولك: سأقصدك غداً، فيقال: إذن أكرمك"(٣).

وأخرج المراديّ أنّ بعض المتأخّرين(٤) يرون أنّ (إذن)، وإن دلّت على أنّ ما بعدها متسبّب عمّا قبلها؛ فهي على وجهين:

- **الوجه الأوّل:** أن تدلّ على إنشاء الارتباط والشّرط، بحيث لا يفهم الارتباط من غيرها.. فإذا قال: أزورك، فقلت: إذن أزورك، فإنّما أردت أن تجعل فعله شرطاً للفعل.
- **الوجه الثّاني:** أن تكون مؤكّدة لجواب، ارتبط بمتقدّم، أو منبّهة على سبب، حصل في الحال. نحو: إن أتيتني إذاً آتك، والله إذاً أفعل، وإذاً أظنّك صادقاً. تقول لمن حدثّك. فلو حذفت (إذاً) فهم الرّبط.

---

(١) الكتاب: ٤/٢٣٤

(٢) المقتضب: ٢/١٠

(٣) انظر حروف المعاني: ٦، وانظر رصف المباني: ١٥١-١٥٧ للوقوف على أحوالها

(٤) انظر الجنى الدّاني: ٣٦٤-٣٦٥

وأكثر النّحاة على أنّها جواب وجزاء. وذكر المالقيّ أنّ الصّحيح أنّها شرط في موضع وجواب في موضع. وشاهده في ذلك الفهم الّذي انتهى إليه أبو علي الفارسيّ[١]؛ فإنّه قد فهم أنّها جزاء في موضع وجواب في موضع، كما فهم قول سيبويه: "وأمّا نعم فعِدَة وتصديق"[٢].

وهكذا رأينا -فيما سبق- أنّ جملة الجواب إنّما تكون بـ (نعم) و (بلى) و (لا) و (أجل) و (إذاً).

ولم تنل واحدة منها شرف الانتماء إلى السّياق النّحويّ لسورة النّساء، غير (إذاً). فقد وردت في ثلاثة مواضع من السّورة. وذلك في قوله تعالى:

- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾[٣].
- وقوله جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤].
- وقوله سبحانه: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[٥].

---

(١) هو أبو علي الحسن بن أحمد، أخذ النّحو من الزّجاج وابن السّراج. له مصنّفات منها: الإغفال، مات ببغداد ٣٧٧هـ. انظر **نشأة النّحو**: ٢٠٠، **تاريخ بغداد**: ٢٧٥/٧، **معجم الأدباء**: ٢٣٢/٧، **النّجوم الزّاهرة**: ١٥١/٤، **معجم المؤلّفين**: ٢٠٠/٣، **شذرات الذّهب**: ٨٨/٣

(٢) انظر في (إذا) **الكتاب**: ٢٣٤/٤، **المقتضب**: ١٠/٢، **شرح المفصّل**: ١٢/٩، **همع الهوامع**: ٦/٢

(٣) سورة النّساء: الآية (٥٢)، (٥٣)

(٤) سورة النّساء: الآية (٦٦) ، (٦٧)

(٥) سورة النّساء: الآية (١٤٠)

هذا؛ وتبقت لنا في هذا المقام مسألة واحدة ألا وهي رسم (إذاً)؛ فقد اختلف النّحويون في ذلك، وهم على ثلاثة مذاهب[١]".

- **المذهب الأوّل:** لأبي العبّاس المبرّد، فيرى أنّ (إذن) تكتب بالنّون في حالتي الوصل والوقف.
- **المذهب الثّاني:** هو مذهب شيخ المبرّد أبي عثمان المازنيّ[٢]، وهو أن تكتب بالألف في كلتا الحالتين.
- **المذهب الثّالث:** وهو لأبي زكريّا الفرّاء[٣]: وهو إنْ عملت كتبت بالنّون، وإنْ لم تعمل كتبت بالألف.

ويسرد المالقيّ علّة كلّ مذهب[٤]، ويخلص من ذلك؛ فيقول: "والّذي عندي فيها: الاختيار أن ينظر: فإن وصلت في الكلام كتبت بالنّون عملت أم لم تعمل، كما يفعل بأمثالها من الحروف...، وإذا وقف عليها كتبت بالألف، لأنّها إذ ذاك مشبّهة بالأسماء المنقوصة المذكورة في عدد حروفها، وأنّ النّون فيها كالتّنوين، وأنّها لا تعمل مع الوقف مثل الأسماء مطلقا"[٥].

والرّأي عندي؛ أن يحال هذا الأمر إلى القرآن الكريم؛ فعلى الهيئة الّتي رسمت (إذاً)؛ ينبغي أن تُعدّل قواعد الرّسم الإملائيّ على غرارها. ولا عبرة إنْ عملت (إذاً) أم لم تعمل.

---

(١) انظر **رصف المباني:** ١٥٥

(٢) هو أبو عثمان المازنيّ، ولد بالبصرة. قال النّاس فيه لم يكن بعد سيبويه أعلم من المازنيّ بالنّحو. من كتبه القطوف والدّيباج. انظر: **طبقات القرّاء:** ١٧٩/١، **الأعلام:** ٤٤/٢، **تاريخ بغداد:** ٩٣/٧، **البداية والنّهاية:** ٣٥٢/١، **الفهرست:** ٥٧، **كشف الظّنون:** ٤١٢

(٣) هو أبو زكريا يحيى بن زياد مولى بني أسد، من أصل فارسي. ولد بالكوفة، وتلقى عن الكسائي وغيره، له من المؤلّفات كتاب الحدود. توفّي سنة ٢٠٧هـ. انظر ترجمته في: **إنباه الرّواة:** ١/٤، **نشأة النّحو:** ٧٢، **البداية والنّهاية:** ٢٦١/١، **طبقات القرّاء:** ٣٧١/٢، **مراتب النّحويين:** ٨٦، **شذرات الذّهب:** ١٩/٢، **معجم الأدباء:** ١٤٣، **اللّباب:** ١٩٨/٢

(٤) انظر **رصف المباني:** ١٥٥-١٥٦ للوقوف على رأي كل مذهب من هذه الثلاثة

(٥) **المصدر نفسه:** ١٥٦

وعجبت أشدّ العجب من قول المبرّد: "اشتهى أن أكوِيَ يَد مَنْ يكتب (إذن) بالألف، لأنّها مثل (أنْ) و (لَنْ) ولا يدخل التّنوين في الحروف"[١]! فكأنّي به لم يقرأ المصحف الشّريف، ولم ينظر آياته في حياته.

فمن الحزم والعزم أن تكتب (إذاً) بالألف، هكذا جاءت في المصحف. ولستُ في حاجة لأذكّر بأنّ القرآن الكريم توقيفيّ كتب بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [٢].

وظلّت (إذاً) على صورتها هذه بالألف في المصحف الشّريف طيلة مراحل جمع القرآن الكريم وتدوينه، وإلى يومنا هذا. فَلِمَ (إذاً) النّكوص عمّا تقرّر، وأصبح جزءاً من تراثنا العَقَدِيّ، في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مِنْ خلفه.

---

(١) **الجنى الدّاني**: ٣٦٦، وانظر **رصف المباني** (الهامش): ١٥٥

(٢) سورة الحشر: الآية (٧)

## المبحث الثّاني

## جملة الحال

ذكرنا، في غير هذا الموضع، أنّ الجمل تحتاج إلي مُكمّلات أو مُتمّمات تزداد بها وضوحاً، وتُبرز دلالاتها على نحو أفضل.

فالاسم -مثلاً- يتحدّد ويتعيّن إن كان نكرة، وتلك الوظيفة ينهض بها المضاف إليه، أو أن تضيق دائرة تنكيره بعض الضّيق، وتلك وظيفة يلتقي عندها النّعت والمضاف إليه. ففي "منزلة" وهي نكرة، نقول بعد الإضافة "منزلة العالم"، وإذا أردنا أن نضيّق دائرة التّنكير أكثر قلنا: "منزلة العالم العلميّة".

ويحتاج الاسم -في بعض الأحيان- إلي بيان وصف من أوصافه الملازمة له، وتلك وظيفة ينفرد بها النّعت وحده؛ وقد يحتاج إلى بيان نوع ذاته، إن كان غامض الذّات، وتلك وظيفة التّمييز، أو أن نبيّن حالته أثناء وقوع الحدث؛ وتلك وظيفة الحال.

والحال هذه محطّ درسنا في هذه الأسطر. فما هي الحال؟ وما الشّروط الّتي تأتي الحال على غرارها؟ ومن يستحقّ الحال؟ وما أنواعها؟ وما هي واو الحال؟ وما وظيفتها؟

هذه الأسئلة، وغيرها، سيتمّ نظرها من خلال المطالب الّتي سوف تأتي. ثم ينظر الباحث بعد ذلك ورود الحال هذه، بأنواعها المختلفة في السّياق النّحويّ للسّورة.

**• المطلب الأوّل: ما هيّة الحال:**

عرّفت الحال بأنّها كلّ اسم منصوب على معنى (في) مفسّر لما أبهم من الهيئات[١].

وعن حقيقة الحال؛ فهي خبر "من حيث أنّك تثبت بها المعنى لذي الحال كما تثبت بخبر المبتدأ للمبتدأ وبالفعل للفاعل"[٢].

وهذا ما نراه في قولك: جاءني زيد راكباً، فقولك: "راكباً"، إنّما "جئت به لتزيد معنى في إخبارك عنه بالمجيء وهو أن تجعله بهذه الهيئة في مجيئه ولم تجرّد إثباتك للرّكوب ولم تباشره به ابتداء بل بدأت فأثبت المجيء ثمّ وصلت به الرّكوب فالتبس به الإثبات على سبيل التّبع لغيره وبشرط أن يكون في صلته"[٣].

من كلّ ما تقدّم؛ فإنّ الحال تذكر في الكلام لبيان "هيئة أحد المشتركين في الحدث أثناء وقوع هذا الحدث"[٤]. فهي بالتّالي؛ تعمل على تخصيص المشارك في الحدث عن طريق قرينة معنويّة؛ وذلك يساعد في فهم معنى الحدث، ويأخذ في تفسير ما أبهم من الهيئات كهيئة الفاعل أو هيئة المفعول[٥]. ويمكن أن نسمّي هذا العمل موضوع الحال.

وقد رأيت بعضاً من المشتغلين بتعليم الصّبية في أيامنا هذه- من أجل أن يُسّهلوا عليهم أمر التّعرّف على الحال من بين المنصوبات؛ رأيتهم يقولون: الحال ما صحّ وقوعها جواباً للسّؤال بـ "كيف؟". فلو سألك سائل: كيف جاء زيد؟ لكان جوابك: راكباً، وراكباً هذه هي الحال.

---

(١) انظر شرح جمل الزّجّاجيّ: ٢٠٥/١

(٢) دلائل الإعجاز: ٢١٢

(٣) المصدر نفسه: ٢١٣

(٤) المحيط في أصوات العربيّة ونحوها وصرفها، دار الشّرق العربيّ، بيروت: ١٥٧/٢

(٥) انظر اللّغة العربيّة معناها ومبناها: ٧٨

فهذا الفَرْضُ، الّذي قالوا به، إنْ صحّ ههنا؛ فهو ليس بصحيح، في كلّ الأحوال، إذ قد يكون الجواب لمن سألك بـ (كيف) مفعولاً مطلقاً. نحو: "كيف جلس زيد؟" وقد يكون السّؤال: "أيّة جِلْسةٍ جلس زيد"؟ ويكون الجواب: "جلس زيد جِلْسَةَ العلمَاء".

وغاية الأمر؛ فإنّ كلاًّ من الفعل والاسم في الجملة يحتاج إلى بيان الهيئة فإنْ بيّنتَ بالمنصوب هيئة الفعل، فبذلك تكون قد خَدَمْتَ الفعل لا الاسم، ويكون منصوبك مفعولاً مطلقاً، وإنْ بيّنت بالمنصوب هيئة الاسم، فأنت بذلك تخدم الاسم لا الفعل، ويكون منصوبك -في هذه الحالة- حالاً.

**o المطلب الثّاني: شروط الحال:**

اشترط النّحاة في الكلمة الّتي تجيء لبيان الحال؛ أربعة شروط هي:

- ١/ أن تكون وصفاً منتقلاً، أي غير ثابت. وهذا يعني أنْ تدلّ على وضع اعترى صاحب الحال أثناء وقوع الحدث. نحو: جاء زيد ضاحكاً. حيث نرى أنّ الضّحك قد تلبّس زيداً خلال المجيء فقط؛ فلمّا انقضى المجيء، سكت[1] عنه الضّحك.

ومع هذا؛ فقد تجيء أوصاف ملازمة لأصحابها منصوبة على الحال، أي (ثابتة)، نحو قوله تعالى: ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ [2]. وقوله: ﴿يوم أبعث حياً﴾ [3]. وقولك: دعوت الله سميعاً. ومن ذلك أيضاً قول الشّاعر:

**فَجَاءَتْ بِهِ سَبْطَ العِظَامِ، كَأَنّمَا**

**عِمَامَتُهُ بَيْنَ الرِّجَالِ لِوَاءُ**[4]

---

(١) استحسن الباحث الفعل (سكت) واستعاره من الآية الكريمة: "ولمّا سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح في نسختها هدى". الأعراف: ١٥٤، وتمّ استخدامه هنا.

(٢) سورة النّساء: الآية (٢٨)

(٣) سورة مريم: الآية (٣٣)

(٤) انظر الشّاهد رقم (١٧٩) **شرح ابن عقيل:** ٦٢٦/١، **سبط العظام:** سَوِي الخلق، حسن القامة.

- ٢/ أن تكون نكرة، لا معرفة. لأنّ وظيفة الحال هي بيان الهيئة الّتي عليها صاحب الحال أثناء وقوع الحدث، ومجرّد ورود هذه الهيئة نكرة؛ فذلك يؤدّي إلى الغاية المرجوّة.

ومع ذلك؛ فقد ترد الحال معرفة؛ من ذلك ورود عبارات مخصوصة، تأوّلها النّحاة على أنّها نكرة، نحو: "جاء زيد وحده" و "جاءوا الجماء الغفير" و "افعل هذا جهدك" و "ادخلوا الأوّل فالأوّل". وتأويل ذلك على التّرتيب: "منفرداً. جميعاً - جاهداً - مرتّبين".

ومن هذا القبيل جاء قول الشّاعر:(١)

**فَأَرْسَلَهَا العِرَاكَ، وَلَمْ يُذْدُهَا * وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَى نَغَصِ الدِّخَالِ**

وهذا رأي الجمهور في مجيء الحال معرفة، وبدون تأويل. نحو قولنا: "جاء زيد الرّاكب" في رأي البغداديّين ويونس(٢).

- ٣/ أن تكون مشتقّة. وقد تكون جامدة مؤوّلة بوصف مشتق. كأن تدل على تشبيه، نحو: "وضح الحقّ شمساً" أي: منيراً أو مضيئاً كالشّمس أو تدلّ على مفاعلة، نحو: "بعتك الكتاب يداً بيد" أي: متقابضين. أو أن تدلّ على ترتيب، نحو: "قرأت الكتاب باباً باباً"، أي: مرتّباً.
- ٤/ أن تكون عين صاحبها في المعنى. نحو: "جاء زيد ضاحكاً". لأنّ الضّاحك هو زيد نفسه. وهذا مغاير لقولك: "جاء زيد

---

(١) البيت للبيد. انظر **الكتاب**: ١٨٧/١، وانظر **ابن عقيل الشّاهد** رقم (١٨٠): ٦٣٠/١ وانظر **المقتضب**: ٣٠٦/٤، **أمالي ابن الشّجريّ**: ٢٨٤/٢، **شرح المفصّل**: ٦٢/٢، **شرح الكافية**: ١٨٤/١. والعراك: ازدحام الإبل. نغص: من نغص الرّجل: إذا لم يتمّ مراده.

(٢) هو يونس بن حبيب البصريّ، من أكابر النّحاة، سمع من العرب. توفّي سنة ١٨٣هـ. انظر **نزهة الألباء**: ٤٧

طيرانًا "، فالطّيران ليس زيدًا نفسه، وإنّما حدثه الّذي جاء عليه. فالطّيران هنا مفعول مطلق، وليس حالاً.

وقد تأتي الحال وليست هي عين صاحبها في المعنى؛ بل تجيء وضعًا لاسم آخر مرتبط مع صاحبها بضمير، نحو: "جاء زيد ممزّقًا ثوبه".

**o المطلب الثّالث: صاحب الحال:**

اختلف النّحاة في صاحب الحال اختلافًا كبيرًا؛ فذهب قوم إلى أنّه لا يستحقّ الحال إلاّ اسم وقع:

- ١/ فاعلاً، نحو: جاء زيد ضاحكاً.
- ٢/ نائب فاعل، نحو كوفيء المعلّم محسنًا.
- ٣/ مفعولاً صريحًا، نحو: ضربت الغلام مسيئًا.
- ٤/ مفعولاً غير صحيح، نحو مررت بزيد جالسًا.
- ٥/ خبرًا، نحو: هذا أبوك مقبلاً.

ويرى آخرون، ومنهم سيبويه؛ أنّ الحال تأتي من المبتدأ ومن المفعولات كلّها. وبناء على هذا يصحّ قولنا: "الماء صرفًا شرابي" و"تعبت التّعب شديداً".

وهم جميعًا -أعني النّحاة- على اتّفاق، أنّ الحال لا تأتي من المضاف إليه. فلا يقال: مررت بغلام هند ضاحكةً. وإلاّ كان ذلك بشرطين:

- ١/ أن يكون المضاف مصدراً أو وصفاً مضافين إلى فاعلهما أو نائب فاعلهما أو مفعولهما، مثل: "سرّني

قدومك سالمًا". وهذا مصدر مضاف إلى فاعله. ومنه أيضا قول الشّاعر:(١)

تَقُولُ ابْنَتِي: إنّ انْطِلاقَكَ وَاحِدًا
إلَى الرَّوْعِ يَوْمًا تَارِكِي لا أَبَا لِيَا

- ٢/ أن يصحّ إقامة المضاف إليه مقام المضاف؛ بحيث لو حذفت المضاف لاستقام المعنى. وذلك بأن يكون المضاف جزءًا من المضاف إليه حقيقة، نحو قولك: "تسرّني طباع خالد راضيًا". فالطّباع، وهو المضاف، كالجزء من المضاف إليه، وهو خالد.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (٢). ومنه كذلك قول جلّ وعلا: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا ...﴾ (٣).

## o المطلب الرّابع: واو الحال:

واو الحال: هي ما يصحّ وقوع "إذ" الظّرفيّة محلّها، نحو قولنا: جاء زيد والشّمس طالعة، فيصحّ أن تقول: جاء زيد إذ الشّمس طالعة.

وواو الحال هذه لا تدخل إلّا على الحال جملة، ولا تدخل على الحال مفردة، ولا شبه جملة.

---

(١) هو مالك بن الريب بن حوط المازنيّ التّميميّ، شاعر، من الظّرفاء والأدباء الفتّاك. اشتهر في أوائل العصر الأمويّ. ورويت عنه أخبار. ورآه سعيد بن عثمان بن عفّان بالبادية في طريقه بين المدينة والبصرة، فولّاه عليها سنة ٥٦هـ. له قصيدة مشهورة. انظر ترجمته في: **الأعلام**: ٢٦١/٥، **الشّعر والشّعراء**: ٢٢٧، **معجم المؤلّفين**: ١٣٢/٢

(٢) سورة الحجرات: الآية (١٢)

(٣) سورة الحجر: الآية (٤٧)

أمّا وظيفتها؛ فهي تربط الجملة الحاليّة بصاحبها. آخذين في الاعتبار؛ أنها ليست الرّابط الوحيد؛ فقد يأتي معها مشتركاً في العمل ضمير في جملة الحال يعود إلى صاحبها، نحو: جاء زيد وكتابه معه.

هذا، وتجب واو الحال في أربعة مواضع:

- ١/ أن تكون جملة الحال خالية من ضمير صاحبها. نحو: جاء زيد وقد طلعت الشّمس.
- ٢/ أن تكون جملة الحال مصدّرة بضمير صاحبها، نحو: جاء زيد وهو يضحك.
- ٣/ أن تكون جملة الحال مضارعيّة مثبتة مقترنة بقد، نحو قوله تعالى: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ (١).
- ٤/ أن تكون جملة الحال مضارعيّة منفيّة بالأداة (لمّا)، نحو قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (٢). ومنه قول الشّاعر:(٣)

**إِذَا كُنْتَ مَأْكُولاً فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ**
**وَإِلَّا، فَأَدْرِكْنِي وَلَمَّا أُمَزَّقِ**

## ○ المطلب الخامس: أنواع الحال:

تأتي الحال على ثلاثة أنواع. وبخلاف النّوع الأوّل، فللنّوعين الآخرين شروط. وأنواع الحال هي(٤):

- ١/ مفردة؛ نحو: عاد الطّالب مسروراً.
- ٢/ جملة؛ وهي على نوعين:

---

(١) سورة الصّف: الآية (٥)

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٤٢)

(٣) البيت للشّاعر شأس بن نهار. انظر **المحيط**: ١٨١/٢

(٤) انظر **أوضح المسالك**: ٣٤٦/٢، وانظر **المحيط**: ١٧٩/٢، وانظر **النّحو الشّامل**: ٣٢٦

( أ ) جملة فعليّة غير مقترنة بشيء[١]، نحو: جاء زيد يضحك. وقد تقترن بالواو، نحو: جاء الطّالب وقد حمل كتبه.

(ب) جملة اسميّة: وتأتي جملة اسميّة غير مقترنة بشيء، نحو: جاء زيد وجهه مستبشر.

وقد تأتي مقترنة بالواو، نحو: جاء زيد والشّمس طالعة.

ولكي تقع الجملة حالاً؛ فلا بدّ لها من شروط، وهي ثلاثة، على النّحو الآتي:

- ١/ أن تكون جملة خبريّة لا إنشائيّة.
- ٢/ أن تكون غير مصدّرة بدليل استقبال، نحو: "سيهدين" في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [٢].
- ٣/ أن تشتمل على رابط يربطها بصاحب الحال، وهذا الرّابط إمّا أن يكون:

أ/ ضميراً، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [٣]، أي: مُتَعادِين.

ب/ أو واواً نحو: قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ [٤].

ج/ أو بالواو والضّمير معاً، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾[٥].

---

(١) انظر دلائل الإعجاز: ٢٠٤

(٢) سورة الشّعراء: الآية (٦٢)

(٣) سورة الأعراف: الآية (٢٤)

(٤) سورة يوسف: الآية (١٤)

(٥) سورة البقرة: الآية (٢٤٣)

- ٤/ شبه جملة، وتكون ظرفاً نحو: "رأيت الهلال بين السّحاب". أو جارًّا ومجرورًا، نحو قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ (١).

والظّرف والجارّ والمجرور يتعلّقان بمستقرّ أو استقرّ محذوفين وجوبًا(٢).

ويرى البصريّون أنّ ما يصلح أن يوضع موضع الحال ما يصلح أن يقال فيه (الآن) أو (السّاعة) نحو: مررت بزيد يضرب، ونظرت إلى عمرو يكتب، لأنّه يصلح أن يقترن به الآن أو السّاعة(٣).

واستصحابًا لكلّ ما مضى؛ فإنّ الحال قد وقفت في السّياق النّحويّ لسورة النّساء، في مواضع كثيرة؛ حيث جاءت تحمل كلّ المحدّدات الّتي أشرنا إليها.

جاء ورود الحال في السّورة مفردًا، وجملة اسميّة، وجملة فعليّة، وجملة شرطيّة. وكان ذلك بالأنماط الآتية:

- **<u>النّمط الأوّل: الحال مفردة:</u>**

وقعت الحال مفردة في مواضع كثيرة من السّورة، وقد جاءت على أربع صيغ، كما تبيّن لنا في الآتي:

**( أ ) الحال مفردة صيغة مصدر:**

تكرّرت هذه الصّيغة أكثر من مرّة؛ ومنها قوله تعالى:

- ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ (٤).

---

(١) سورة القصص: الآية (٧٩)

(٢) انظر أوضح المسالك: ٣٤٦

(٣) انظر **الإنصاف**: ٢٥٤/١

(٤) سورة النّساء: الآية (٦)

- ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً﴾ (١).
- ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً﴾ (٢).

**(ب) الحال المفردة صيغة اسم فاعل:**

لهذه الصّيغة حضور في السّياق النّحويّ للسّورة. وقد جاء منها قوله تعالى:

- ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (٣).
- ﴿آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُم﴾ (٤).
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ (٥).
- ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً﴾ (٦).
- ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً﴾ (٧).
- ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (٨).

**( ج ) الحال مفردة صيغة اسم مفعول:**

وردت هذه الصّيغة بقلّة. منها قوله تعالى:

- ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ (٩).

---

(١) سورة النّساء: الآية (١٠٣)
(٢) سورة النّساء: الآية (٣٠)
(٣) سورة النّساء: الآية (١٣)
(٤) سورة النّساء: الآية (٤٧)
(٥) سورة النّساء: الآية (٩٧)
(٦) سورة النّساء: الآية (١٠٠)
(٧) سورة النّساء: الآية (٩٣)
(٨) سورة النّساء: الآية (١٦٥)
(٩) سورة النّساء: الآية (٢٥)

**( د ) الحال مفردة صيغة وصف:**

وردت هذه الصّيغة بكثرة. منها قوله تعالى:

- ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ (١).
- ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ (٢).
- ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٣).
- ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ (٤).
- ﴿فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ (٥).
- ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ﴾ (٦).
- ﴿وَاتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ (٧).
- ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٨).

- **<u>النّمط الثّاني: الحال جملة اسميّة:</u>**

جاءت الحال جملة اسميّة في اثني عشر موضعًا، وفي عمومها كانت جملة بسيطة مرتبطة بالواو والضّمير، وبقلّة كانت جملة منسوخة. وذلك على النّحو الآتي:

**( أ ) الحال جملة اسميّة بسيطة:**

وهي الأكثر؛ كما ذكر الباحث. وجاء منها قوله تعالى:

---

(١) سورة النّساء: الآية (٤)
(٢) سورة النّساء: الآية (١٩)
(٣) سورة النّساء: الآية (٢٨)
(٤) سورة النّساء: الآية (٣٨)
(٥) سورة النّساء: الآية (٧١)
(٦) سورة النّساء: الآية (١٤٢)
(٧) سورة النّساء: الآية (١٢٥)
(٨) سورة النّساء: الآية (٤١)

- ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ (١).
- ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ (٢).
- ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ (٣).
- ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ (٤).
- ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ (٥).

**(ب) الحالة جملة اسميّة موسّعة (منسوخة):**

جاءت هذه أقل من الجملة البسيطة ومنها قوله تعالى:

- ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ (٦).
- ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (٧).
- ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٨).
- ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (٩).

- **<u>النّمط الثّالث: الحال جملة فعليّة:</u>**

وردت هذه الحال في ثلاثة وعشرين موضعاً. وقد جاءت غير مقترنة بالواو في مواضع كثيرة، وبقلّة كانت مقترنة بالواو. ومن أمثلتها ما جاء في قوله تعالى:

---

(١) سورة النّساء: الآية (١٨)
(٢) سورة النّساء: الآية (٤٣)
(٣) سورة النّساء: الآية (٤٣)
(٤) سورة النّساء: الآية (٩٢)
(٥) سورة النّساء: الآية (١٢٥)
(٦) سورة النّساء: الآية (١٢)
(٧) سورة النّساء: الآية (٧٨)
(٨) سورة النّساء: الآية (٨٤)
(٩) سورة النّساء: الآية (٨٧)

- ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ (١).
- ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ (٢).
- ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ (٣).
- ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (٤).
- ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ (٥).

- **النّمط الرّابع: الحال جملة شرطيّة:**

جاءت الجملة الشّرطيّة أحوالاً في مواضع قليلة من السّورة. نحو قوله تعالى:

- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ (٦).
- ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ (٧).
- ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ (٨).

- **النّمط الخامس: الحال شبه جملة:**

هذه الحال هي الأكثر وروداً في سياق السّورة، حيث جاءت في ثمانية وثلاثين موضعاً. وكانت جاراً ومجروراً في أكثرها. وفي حالات قليلة جاءت ظرفاً. فمن أمثلة الحال شبه الجملة قوله تعالى:

---

(١) سورة النّساء: الآية (٢١)
(٢) سورة النّساء: الآية (٥٠)
(٣) سورة النّساء: الآية (٦١)
(٤) سورة النّساء: الآية (٤٦)
(٥) سورة النّساء: الآية (١٧١)
(٦) سورة النّساء: الآية (٦٤)
(٧) سورة النّساء: الآية (٧٨)
(٨) سورة النّساء: الآية (١٢٩)

- ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (١).
- ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (٢).
- ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ (٣).
- ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٤).
- ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ (٥).

ممّا سبق يستطيع الباحث أن يؤكّد بأنّ الحال قد جاءت في السّياق النّحويّ للسّورة بأنواعها المختلفة. وقد راعت الأشراط الّتي تؤهّلها لبيان هيئة صاحب الحال وقت وقوع الحدث.

---

(١) سورة النّساء: الآية (٦)

(٢) سورة النّساء: الآية (١٥)

(٣) سورة النّساء: الآية (١٦٤)

(٤) سورة النّساء: الآية (١٢٣)

(٥) سورة النّساء: الآية (٤١)

# المبحث الثّالث

## جملة الصّلة

يتناول الباحث في هذا المبحث جملة الصّلة، وهي القسم الثّالث من الجمل المكمّلة للإسناد الخبريّ.

وسوف يتعرّض لهذه الصّلة ببيان مفهومها، وذِكْر الجمل الّتي تصلح لأنْ تكون صلة للموصول، ثمّ يمثّل لكلّ ذلك من التّركيب النّحويّ للسّورة. وما ذُكِر ههنا سيبيّن لنا من خلال المطالب الآتية:

### ○ المطلب الأوّل: مفهوم الصّلة:

تحدّث سيبويه عن الصّلة، وقد سمّاها الحشو[١]. أمّا المبرّد؛ فقد أكثر من حديثه عنها، في أكثر من موضع من كتابه: "المقتضب". ومن ذلك قوله: "واعلم أنّ الصّلة موضّحة للاسم، فلذلك كانت في هذه الأسماء المبهمة، وما شاكلها في المعنى. ألا ترى أنّك لو قلت: جاء الّذي، أو مررت بالّذي لم يدلّك ذلك على شيء حتّى تقول: مررت بالّذي قام. أو مررت بالّذي من حاله كذا وكذا، أو بالّذي أبوه منطلق. فإذا قلت: هذا وما أشبهه وضعت اليد عليه"[٢].

وذكر في مكان آخر في الكتاب ذاته: "ولا تكون هذه الجمل صلة له (أي لاسم الموصول الّذي يسبق هذه الجمل) إلّا وفيها ما يرجع إليه من ذكره، فلو قلت: ضربني الّذي أكرمت هند أباها عنده، أو في داره، لصلح لما رددت إليه من ذكره"[٣].

---

(١) انظر الكتاب: ١٠٥/٢، وانظر شرح الفريد: ٤٠٥

(٢) المقتضب: ١٩٧/٣

(٣) المصدر نفسه: ١٩/١

ويرى الزّمخشريّ أنّ الموصول: "لا بدّ له في تمامه اسمًا من جملة تردفه من الجمل الّتي تقع صفات ومن ضمير فيها يرجع إليه وتسمّى هذه الجملة صلة ويسمّيها سيبويه الحشو"(١).

ويركّز عبّاس حسن في حديثه على مهمّة جملة الصّلة، فيقول عنها: "هي الّتي تعيّن مدلول الموصول، وتفصّل مجمله، وتجعله واضح المعنى، كامل الإفادة"(٢).

**o المطلب الثّاني: صلة الموصول:**

لا بدّ للموصول من صلة تحدّد معناه، وتزيل الغموض عنه. وأبان المبرّد أنّ هذه الصّلة هي الجمل(٣).

واشترط الأشمونيّ أنّ الصّلة لا بدّ أن تكون معهودة، أو بمنزلة المعهودة؛ وإلّا لم تصلح للتّعريف(٤). فالمعهودة كقولك: جاء الّذي قام أبوه؛ فجملة (قام أبوه) هي الصّلة. أمّا الّتي تكون بمنزلة المعهودة، فهي الّتي تكون واقعة في مقام التّهويل والتّضخيم. كما في قوله تعالى:

- ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ (٥).
- ﴿فَأَوْحَى إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ (٦).

ويرى ابن هشام أنّ الصّلة على "ضربين: جملة، وشبه جملة، والجملة على ضربين: اسميّة وفعليّة"(٧). ولا يتأتّى هذا إلّا بشرطين هما:

---

(١) المفصّل: ١٤٢

(٢) النّحو الوافي: ٣٧٣/١

(٣) انظر الكافية: ٣٧٣/١

(٤) انظر منهج السّالك: ١٨٧، وانظر الدّرر اللّوامع: ٢٥٢/٢

(٥) سورة طه: الآية (٧٨)

(٦) سورة النّجم: الآية (١٠)

(٧) قطر النّدى وبلّ الصّدى: ١٤٩

١/ أن تكون جملة الصّلة خبريّة. أي تحتمل الصّدق والكذب. وعليه فلا تصلح الجملة الإنشائيّة. كقولك: جاء الّذي أكرمه.

٢/ أن تكون جملة الصّلة في كلّ حالاته: كالإفراد، والتّثنية، والجمع، والتّذكير، والتّأنيث.

## o المطلب الثّالث: صلة الموصول في سورة النّساء:

تنتشر جملة الصّلة انتشارًا واسعًا في التّركيب النّحويّ لهذه السّورة؛ لكنّها لم تشمل كلّ الموصولات؛ بل تركّزت مع موصولات بعينها؛ وهي (الّذين) و (اللّذان) و (اللّاتي) و (مَنْ) و (ما).

- **صلة الموصول: جملة فعليّة:**

وهي الأكثر انتشارًا لدرجة الشّيوع. وقد تعدّدت مع الموصولات الّتي تقدّم ذكرها. فمن ذلك قوله تعالى:

- ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ﴾ (١).
- ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا﴾ (٢).
- ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ (٣).
- ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ (٤).
- ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (٥).

ولم تسجّل حالة واحدة جاءت فيها صلة الموصول جملة اسميّة، كظاهرة تستحقّ الدّراسة والنّظر.

---

(١) سورة النّساء: الآية (١٥)

(٢) سورة النّساء: الآية (١٦)

(٣) سورة النّساء: الآية (٣٣)

(٤) سورة النّساء: الآية (٣٧)

(٥) سورة النّساء: الآية (٧٩)

. **جملة الموصول: شبه جملة:**

وردت الصّلة شبه جملة بقلّة في هذه السّورة، لم يتجاوز ورودها ثلاثة مواضع فقط. وذلك في قوله تعالى:

- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (١).
- ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (٢).
- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (٣).

ونلحظ من خلال ما ذكرنا- أنّ شبه الجملة أتت صلة، وهي جار ومجرور، ولم ترد ظرفاً مطلقاً.

ونخلص من كلّ ذلك؛ أنّ جملة الصّلة لها حضور في التّركيب النّحويّ للسّورة، وإنْ كانت قد انحصرت مع موصولات بعينها مثل (الّذين) و (اللّذان) و (اللاّتي) و (مَن) و (ما).

لكنّ الأمر اللاّفت للنّظر أنّ صلة الموصول قد كثُر ورودها وهي جملة فعليّة. ولم ترد جملة اسميّة قط؛ ووردت بقلّة شبه جملة.

---

(١) سورة النّساء: الآية (١٣١)

(٢) سورة النّساء: الآية (١٣١)

(٣) سورة النّساء: الآية (١٣٢)

# المبحث الرّابع

## جملة الاستثناء

هذا المبحث خصّص للنّظر في جملة الاستثناء، باعتبار أنّ المستثنى من الأبواب المهمّة في النّحو الوظيفيّ؛ الّذي لا غنى للمرء عنه، وهو يباشر حياته العامّة، وما فيها من تداخل فرضته الوظيفة الاجتماعيّة للّغة.

وسوف ينظر الباحث هذه الجملة من خلال بيان مفهوم الاستثناء، وأنواعه، وذكر الأدوات الّتي يقوم بها هذا الأسلوب. ثمّ يتعرّض لحكم المستثنى؛ وله في ذلك وَقَفَات.

وهنالك مسائل تتّصل بجملة الاستثناء؛ لا بدّ من الإشارة إليها، كعامل المستثنى، وتقدّم المستثنى على المستثنى منه، وتعدّد الاستثناء، وتكرار الأداة (إلاّ) بقصد التّوكيد، وغيرها.

ومن خلال عرض هذه الجوانب من جملة الاستثناء؛ يخلص الباحث إلى نظرها في سورة النّساء؛ ناظراً أنواع المستثنى، والأحكام المتعلّقة بها، والأدوات الّتي جاءت فيها.

### o المطلب الأوّل: مفهوم الاستثناء:

لم يُشِرْ سيبويه إلى مفهوم الاستثناء، عندما تحدّث عن ذلك في "باب الاستثناء"[1]. وإنّما أخذ يُعدّد أدوات الاستثناء، من حروف وأسماء.

ولا يؤخذ عليه ذلك؛ لا سيما وهو من الأوائل الّذين بَعَجُوا النّحو العربيّ، وكلّ أوّل مُستَدْرَك؛ لا شكّ، ولا محالة في ذلك.

---

(١) الكتاب: ٣٠٩/٢

وكذا الحال عند المبرّد، ومن أتى بعده. لكنّ السّيوطيّ يرى أنّ المستثنى هو "المُخرج بإلّا أو إحدى أخواتها تحقيقاً أو تقديراً من مذكور أو متروك بشرط الفائدة"(١).

وقد عنى بالمُخرج تحقيقاً المستثنى المتّصل(٢) نحو: "قام إخوتك إلاّ زيداً"، والمخرج تقديراً هو المستثنى المنقطع نحو قوله سبحانه: ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ (٣)، ذلك لأنّ الظّنّ؛ وإنْ لم يدخل في العلم - على الحقيقة- فهو في حكم الدّاخل فيه، لذا استثنى منه.

ويرى الباحث أنّ السّيوطيّ، وهو يضع "شرط الفائدة" في الاستثناء، إنّما كان يرمي لبيان "أنّ النّكرة لا يستثنى منها في الموجب ما لم تُفد"(٤).

وبناء على هذا لا يصحّ قولنا: "جاء القوم إلاّ رجالاً"، كما لا يصحّ أن نقول: "قام رجال إلاّ زيداً" لعدم الفائدة النّاتجة عن تنكير المستثنى منه. فإنْ حصلت جاز ذلك؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ (٥) ونحو قولك: "قام رجال وكانوا في دارك إلاّ رجلاً".

وكذا لا يقع استثناء النّكرة من المعرفة إلاّ أن تخصّص نحو: "قام القوم إلاّ رجلاً"، فإنْ خصّصت جاز ذلك نحو: قام القوم إلاّ رجلاً منهم".

وبناء على هذا المفهوم، يرى المبرّد أنّ الاستثناء على وجهين:

- أحدهما: "أن يكون محمولاً على ما كان عليه قبل دخول الاستثناء. وذلك قولك: ما جاءني إلاّ زيد، وما ضربت إلاّ زيدا، وما مررت إلاّ بزيد. فإنّما جرى هذا على قولك: جاءني زيد.

---

(١) **همع الهوامع**: ٢٢٢/١، وانظر **المحيط**: ٣٢٥

(٢) انظر **الإيضاح في شرح المفصّل**، ابن الحاجب، تحقيق وتقديم د. محمد بناي العليليّ، بغداد: ٣٩٥/١

(٣) سورة النّساء: الآية (١٥٧)

(٤) **همع الهوامع**: ٢٢٣/١

(٥) سورة العنكبوت: الآية (١٤)

ورأيت زيداً، ومررت بزيد، وتكون الأسماء محمولة على أفعالها.

وإنّما احتجت إلى النّفي والاستثناء؛ لأنّك إذا قلت: جاءني زيد- فقد يجوز أن يكون معه غيره. فإذا قلت: ما جاءني إلاّ زيد- نفيت المجيء كلّه إلاّ مجيئه"[1].

- الثّاني: "أن يكون الفعل أو غيره من العوامل مشغولين ثمّ تأتي بالمستثنى بعد. فإذا كان كذلك فالنّصب واقع على كلّ مستثنى، وذلك قولك: جاءني القوم إلاّ زيداً، ومررت بالقوم إلاّ زيداً.

وعلى هذا مجرى النّفي. وإن كان الأجود فيه غيره؛ نحو: ما جاءني أحد إلاّ زيد، وما مررت بأحد إلاّ زيد، وذلك لأنّك لمّا قلت: جاء القوم وقع عند السّامع أنّ زيداً فيهم، فلمّا قلت: إلاّ زيداً كانت (إلاّ) بدلاً من قولك: أعنى زيداً"[2].

## o المطلب الثّاني: أنواع المستثنى:

بادئ ذي بدء، وقبل النّظر في أنواع الاستثناء، والقول بشأنها؛ يقرّر الباحث هنا أنّ جملة الاستثناء تتألّف من ثلاثة أجزاء هي:

- ١/ المستثنى منه: وهو الاسم الواقع قبل أداة الاستثناء.
- ٢/ أداة الاستثناء: وهي الواقعة بعد المستثنى منه.
- ٣/ المستثنى: وهو الاسم بعد الأداة.

وبناء على تكامل هذه الأجزاء الثّلاثة يتحدّد نوع الاستثناء. وهذه الأنواع تبدو على النّحو الآتي:

---

(١) المقتضب: ٤/٣٨٩

(٢) المصدر نفسه: ٤/٣٨٩-٣٩٠

- **الاستثناء المتّصل:**

يكون الاستثناء متّصلاً إذا كان جزءاً من أفراد المستثنى منه، أو أحد أجزائه[١]. نحو:

- حفظت السّور إلاّ سورة.
- ما أورقتِ الشّجرة إلاّ غصناً (غصنٌ).

- **الاستثناء المنقطع:**

هو ما كان فيه المستثنى من غير جنس المستثنى منه[٢]. وتعود التّسمية إلى انقطاع صلة البعضيّة بين المستثنى والمستثنى منه. نحو:

- وصل المسافرون إلاّ أمتعتهم. فالأمتعة ليست من جنس المسافرين، ولا هي بعضهم.
- دخل المصلّون إلاّ أخذيتهم. وينطبق في هذا المثال ما قلناه في سابقه.

- **الاستثناء المفرّغ:**

هو ما كان خالياً من المستثنى منه[٣]. وبقي على الأداة والمستثنى. وشرطه أن يكون الكلام غير موجب[٤].

وسمّي كذلك لأنّ ما قبل الأداة تفرّغ للعمل فيما بعدها، ولم يشغله عن شيء[٥]. نحو:

- ما فاز بالجائزة إلاّ المُجدّ.
- وما أبصرت إلاّ عصفوراً.

ويمكن أن يتنوّع إلى: استثناء تام موجب، واستثناء تام غير موجب؛ بناء على وجود النّفي وعدمه في جملة الاستثناء:

---

(١) انظر النّحو الشّامل: ٣٠١

(٢) انظر المحيط: ٣٢٦

(٣) انظر المرجع نفسه: ٣٢٧

(٤) انظر النّحو الشّامل: ٣٠٠

(٥) شرح شذور الذّهب: ٢٦٤

- **فالاستثناء التّام الموجب:**

يكون الاستثناء موجبًا وتامًّا إذا خلا من النّفي أو شبهه، نحو:

- شذّبت الأشجار إلّا شجرة.
- قام القوم إلّا زيدًا.

- **والاستثناء التّام غير الموجب:**

هو المشتمل على نفي أو شبهه كالنّهي والاستفهام[١]، نحو:

- ما حضر الطّلاب إلّا عليًّا (علي).
- ما قابلت الوفد إلّا رئيسه.

**o المطلب الثّالث: أدوات الاستثناء:**

هي حروف وأسماء وأفعال، تكون فاصلة[٢] بين المستثنى والمستثنى منه، وبذلك تتكامل جملة الاستثناء، وتأخذ صورتها المميّزة لها.

"فحرف الاستثناء إلّا. وما جاءت من الأسماء فيه معنى إلّا فغير، وسوى. وما جاء ومن الأفعال فيه معنى إلّا فلا يكون، وليس، وعدا، وخلا. وما فيه ذلك المعنى من حروف الإضافة وليس باسم [فحاشى][٣] وخلا في بعض اللّغات"[٤].

وممّا يستثنى به كذلك "لا سيّما" وهي ليست من أدوات الاستثناء الحقيقيّة، ولكنّها تعدّ منها توسّعًا لأنّها تُخْرِجُ ما بعدها من حكم ما قبلها وتفضّله عليه"[٥].

---

(١) انظر شرح ابن عقيل: ٥٩٩/١

(٢) ليس في كلّ الأحوال تكون فاصلة بينهما.

(٣) كذا في الأصل عند سيبويه. والّذي تواتر (حاشا) بالألف.

(٤) الكتاب: ٣٠٩/٢

(٥) التّذكرة في النّحو: ٣١/١

ويشير الباحث أنّ (لا سيّما) مركّبة من (لا) النّافية للجنس، و (سيّ) بمعنى (مثل)[١]، وهو اسمها، وخبرها محذوف تقديره (موجود). وقد تأتي (لا سيّما) مصحوبة بواو (اعتراضيّة) تكون قبلها. وقد يستثنى كذلك في جملة المستثنى بالأداتين( لما) و (بيد).

**o المطلب الرّابع: حكم المستثنى:**

يقع النّصب والرّفع والجرّ على المستثنى. وقد قدّمنا النّصب لأنّه الأصل؛ باعتبار أنّ المستثنى من المنصوبات.

ويرى ابن هشام أنّ النّصب يجب في خمس مسائل[٢]:

- **إحداها:** أن تكون الأداة "ليس" نحو قولك: "قاموا ليس زيداً". ومنه قول النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: "ما أنهر الدّم وذكر اسم الله عليه فكلوا، ليس السّنّ والظّفر".

ونرى أنّ (ليس) هنا كانت بمنزلة (إلاّ)، لذا كان المستثنى واجب النّصب.

- **الثّانية:** أن تكون الأداة "لا يكون" نحو قولك: قاموا لا يكون زيداً. فلا يكون ههنا بمنزلة (إلاّ) في المعنى[٣].
- **الثّالثة:** أن تكون الأداة "ماخلا" كقولك: "جاء القوم ما خلا عمراً". ومثله قول الشّاعر:[٤]

**أَلاَ كُلُّ شَيءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ**

**وَكُلُّ نَعِيمٍ لاَ مَحَالَةَ زَائِلُ**[٥]

---

(١) انظر **نظم الفرائد وحصر الشّرائد**، مهذّب الدّين المهلّبيّ، تحقيق عبد الرّحمن بن سليمان العثيمين، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، مكتبة التّراث، مكّة المكرّمة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م: ١٨٥.

(٢) انظر **شذور الذّهب**: ٢٦٠

(٣) قد يكون الاسم بعد (لايكون) و (ليس) خبراً باعتبارهما عاملتين في المبتدأ والخبر. واسمهما مستتر فيهما، وهو عائد على البعض المفهوم من الكلّ السّابق. كأنّه قيل: لا يكون بعضهم زيداً، وليس بعضهم زيداً.

(٤) البيت للبيد. انظر **أوضح المسالك**، الشّاهد رقم ٢٦٧

(٥) لا محالة: لا احتيال، والمراد: لا مهرب من زوال النّعيم.

- **الرّابعة:** أن تكون الأداة "ما عدا". نحو قولك: جاء القوم مـــا عـــدا زيداً. وعلى نسق هذا المثال جاء قول الشّاعر(١):

**تُمَلُّ النّدامى مَا عَدَانِى؛ فَإِنَّنِي**

**بِكُلّ الّذي يَهْوَى نَدِيمِي مُولَعُ**

- **الخامسة:** أن تكون الأداة (إلاّ)، وذلك في حالتين:

- **إحداهما:** أن تكون بعد كلام تامّ موجـــب، نحـــو قولـــه تعالى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ (٢).

ومثله قوله تعـــالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ (٣).

- **الثّانية:** أن يكون المستثنى مقدّماً على المســـتثنى منـــه؛ كقول الشّاعر(٤):

**وَمَالِيَ إلاّ آل أحْمَدَ شِيعَة**

**وَمَالِيَ إلاّ مَذْهَب الحقّ مَذْهَبُ**(٥)

---

(١) لم أهتدِ إلى قائله، وقد أنشده ابن هشام في **أوضح المسالك:** ٢/٢٩٠، الشّاهد رقم (٢٦٨)

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٤٩)

(٣) سورة الحجر: الآية (٣٠)

(٤) هو الكميت بن زيد من بني أسد. كان بينه وبين الطّرماح من المودة ما لم يكن بين اثنيـــن. كـــان الكميت شديد التّكلّف في الشّعر. انظر ترجمته في: **الأعلام:** ٥/٢٣٣، **طبقـــات فحـــول الشّـــعراء:** ١٩٥، **الشّعر والشّعراء:** ٣٨٥

(٥) هذا البيت من إحدى قصائده الهاشميّة، يمدح بها آل الرّسول صلى الله عليه وسلّم، ومطلعها:

**طَرِبْتُ وَمَا شَوْقاً إِلَى البِيضِ أَطْرَبُ**

**وَلا لَعِبًا مِنّي وَذُو الشّيْبِ يُلْعَبُ**

ورد هذا البيت شاهداً في **شرح ابن عقيل:** ١/٦٠١، الشّاهد رقـــم (١٦٦)، وفـــي **أوضـــح المســـالك:** ٢/٢٦٦، الشّاهد رقم (٢٦٢)، وفي **قطر النّدى وبلّ الصدى:** ٢٤٦، الشّاهد رقم (١٠٩)

وبخلاف هذا؛ فإنّ بقيّة الأنواع تتردّد بين النّصب وغيره. على النّحو الّذي نلحظه في المستثنى المفرّغ. ففيه تجوز الوجوه الثّلاثة؛ كما في الأمثلة التّالية:

- ما قام إلاّ زيدٌ، حيث رفع (زيداً) على الفاعليّة.
- ما رأيت إلاّ زيداً، وهنا نُصب على المفعوليّة.
- ما مررت إلاّ بزيدٍ. وخُفِضَ هنا بالياء. فإن كان المستثنى متّصلاً، جاز فيه وجهان:[١]

- **الأوّل:** وهو الرّاجح، أن يعرب بإعراب المستثنى منه، بدل بعض من كلّ.
- **الثّاني:** أن ينصب على أصل الاستثناء. ومن أمثلته في النّفي، قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾[٢]. حيث أجمع القرّاء السّبعة[٣] على رفع (أَنفُسُهُمْ). ومثله قوله تعالى: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾[٤].

قرأ السّبعة برفع (قليل) إلاّ ابن عامر[٥]؛ قرأها وحده بالنّصب (إلاّ قليلاً). ووجه القراءة بالرّفع،

---

(١) انظر **شرح شذور الذّهب:** ٢٦٥

(٢) سورة النّور: الآية (٦)

(٣) **القرّاء السّبعة هم:** نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائيّ. انظر **التّيسير في القراءات السّبع المشهورة وتوجيهها:** ٢٦٨، وانظر **القراءات المتواترة وأثرها في الرّسم القرآني والأحكام الشّرعيّة**، د. محمّد الحبش، ط١، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م: ٦٢-٦٧

(٤) سورة النّساء: الآية (٦٦)

(٥) هو عبد الله بن يزيد بن تميم، الإمام الكبير مقرئ الشّام. ولد سنة ٢١هـ. والمشهور أنّه تلا على المغيرة. وهو قليل الحديث. مات سنة ١١٨هـ. انظر **سير أعلام النّبلاء:** ١٩٤/١، **الأعلام:** ١٧٣/١، **بغية الوعاة:** ٤١٤/١، **إنباه الرّواة:** ٢٣٠/١، **الفهرست:** ٢٦٦

يجيء على أن (قليل) بدل من الواو في (فعلوه). كأنّه قيل: ما فعله إلاّ قليل منهم.

أمّا إذا كان المستثنى منقطعاً؛ فالحجازيّون يـــرون وجـــوب نصبـــه، والسّبعة أجمعوا على نصب (اتّباع) في قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ (١) ونحو قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ (٢).

والتّميميّون في هذا الضّرب من الاستثناء يجيزون الإبدال، ويختـــارون النّصب. قال الشّاعر (٣):

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ * إِلَّا اليَعَافِيرُ وَإِلَّا العِيسُ (٤)

حيث أبدلت (اليعافير و (العيس) من (أنيس) وهي ليست من جنسه.

وإذا كان المستثنى (بغير) و (سوى)، فهو مجـــرور دائمـــاً؛ لأنّـــهما ملازمان للإضافة (٥).

---

(١) سورة النّساء: الآية (١٥٧)

(٢) سورة اللّيل: الآية (١٩)، (٢٠)

(٣) البيت لعامر بن الحارث (جران العود). وهو مـــن **شـــواهد ســـيبويه**: ٢٣٦/١ و ٣٢٢ **وشـــرح المفصّل**: ١١٧،١٠/٢ و ١٢/٧، ٥٢/٨، **الهمع**: ٢٢٥/١ و ١٤٤/٢، **والأشمونيّ**: ١٤٧/٢، **وشرح التّصريح على التّوضيح**: ٣٥٣/١. ولهذا البيت رواية أخرى والتي تقرأ:

يَا لَيْتَنِي وَأَنْتِ يَا لَمِيسُ * فِي بَلْدٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ
إِلَّا اليَعَافِيرُ وَإِلَّا العِيسُ

انظر: **خزانة الأدب**: ١٩٨/٤. وله رواية أخرى أيضا وهي:

قَدْ نَدَعُ المَنْزِلَ يَالَمِيسُ * يَعْتَسُّ فِيهِ السَّبُعُ الجُرُوسُ
الذِّئْبُ أَوْ ذُو لِبَدٍ هَمُوسُ * وَبَقَـــرٌ مُلَمَّعٌ كُنُـــوسُ

وقد استشهد به للإبدال فـــي الاستثناء المنقطع على لغة تميم. انظر: **شـــرح شـــذور الذّهـــب**: ٢١٥، **خزانة الأدب**: ١٩٧/٤

(٤) اليعافير: جمع اليعفور: ولد الظّبي. والعيس: جمع أعيس وعيساء: وهي بقـــر الوحـــش لبياضـــها، وأصله في الإبل فاستعاره للبقر.

(٥) انظر **شذور الذّهب**: ٢٦٧

وإن جاء بـ (خلا) و (عدا) و (حاشا)، ففي هذه الحالة "يجوز فيه الحفض والنّصب؛ فالحفض على أن يقدّرون حروف جرّ، والنّصب على أن يقدّرون حروف جرّ، والنّصب على أن يقدّرون أفعالاً استتر فاعلهنّ، والمستثنى مفعول"(١).

ولم يجوّز سيبويه(٢) في الممستثنى الّذي أداته (عدا) غير النّصب؛ لأنّه يرى أنّها لا تكون إلّا فعلاً، ولا في المستثنى الّذي أداته (حاشا) غير الجرّ؛ لأنّه يرى أنّها لا تكون إلّا حرفاً.

**o المطلب الخامس: أحكام متفرّقة:**

هذه بعض من الأحكام الّتي تمسّ جملة الاستثناء(٣)، رأيت أن أشير إليها ههنا:

- ١/ اختلف النحاة(٤) في عامل المستثنى، فقال قوم: هو ما قبل (إلّا) من فعل أو شبهه. ويرى آخرون: فعل محذوف تقديره (استثنى) نابت (إلّا) عنه. وطائفة ثالثة ترى أنّ العامل هو (إلّا) نفسها من غير أن ينوب عنها شيء.
- ٢/ يصحّ استثناء قليل من كثير، وكثير من أكثر منه. وقد يستثنى من الشّيء نصفه. كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾(٥). حيث أبدل (نصفه) من المستثنى منه، فيصحّ في "جاء القوم إلّا زيداً" أن

---

(١) انظر **شذور الذّهب**: ٢٦٧

(٢) انظر **الكتاب**: ٣٤٨-٣٤٩

(٣) انظر: **كشف المشكل في النّحو**، علي بن سليمان الحيدرة اليمنيّ، تحقيق د. هادي عطيّة مطر، ط١، مكتبة الإرشاد، بغداد، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م: ٤٩٨

(٤) انظر **أقوال النّحاة في ذلك، شرح ابن عقيل** (الحاشية): ٥٩٨/١

(٥) سورة المزّمل: الآية (١)، (٢)، (٣)

نقول: "جاء إلاّ زيداً القومُ". كما يجوز أن يتقدّم المستثنى على صفة المستثنى منه، ففي "جاء القوم الصالحون إلاّ زيداً"، يصحّ أن نقول: "جاء القوم إلاّ زيداً الصّالحون"(١).

ويجوز أن يتقدّم المستثنى على العامل وحده، ففي "أكلتُ الفواكه إلاّ التّفّاحَ"، يمكن القول: "الفواكه إلاّ التّفّاحَ أكلتُ". أمّا على العامل والمستثنى منه معاً فلا يجوز، إذ لا يصحّ قولنا: "إلاّ التّفّاحَ أكلت الفواكه" وإنْ فُهِمَ القصدُ منه.

- ٤/ لا يجوز لمعمول المستثنى أن يتقدّم عليه، فلا يقال: "ما أنا علماً إلاّ طالبٌ".
- ٥/ يجوز أن يتعدّد المستثنى بحرف العطف. نقول: "قام القوم إلاّ زيداً إلاّ عمراً" والأصل: إلاّ زيداً وعمراً. ومثل ذلك ترد كثير من الأمثلة الّتي يمكن القياس عليها. ومن الشّعر العربيّ الّذي تعدّد فيه المستثنى. قول الشّاعر(٢):

**هَلْ الدَّهْرُ إلاَّ لَيْلَةٌ ونَهَارُهَا**

**وإلاَّ الشّمْسُ ثُمَّ غِيَارُهَا**(٣)

- ٦/ قد تزاد (إلاّ) في الاستثناء بقصد التّوكيد، بين المستثنى وبدله، أو بينه وبين عطف بيانه، نحو: "ما جاء إلاّ أبو حفصٍ إلاّ عمرو" والأصل: "ما جاء إلاّ ابو حفصٍ عمرو".

---

(١) المحيط: ٣٣٤/٢

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذليّ: واسمه خويلد بن خالد. انظر **كتاب الاختيارين** صنعة الأخفش الأصغر: ١٥٠، ٢٨٢، ٢٦٦، **شرح ابن عقيل**: ٦٠٥/١، **الشّعر والشّعراء**: ٤٣٥

(٣) غيارها: يزنة قيام، وهو مصدر بمعنى الغياب.

وبالتّالي فإنّ (إلاّ) هنا زائدة، لا عمل لها، وإنّماء جيء بها للتّوكيد. ومن هذا قول الشّاعر[١]:

مَا لَكَ مِنْ شَيْخِكَ إِلاَّ عَمَلُهْ

إِلاّ رسيمُهُ إِلاّ رَمَلُهْ[٢]

- ٧/ قد يتعدّد المستثنى بغير عاطف، وبهذا تكون (إلاّ) المكرّرة عاملة في كلّ اسم دخلت عليه نحو: "قام القوم إلاّ زيداً إلا عمراً إلاَ بكراً".

هذا إذا كان الكلام موجباً، وإنْ لم يكن كذلك؛ عومل كلّ واحد منها كما يعامل لو لم تُكرّر (إلاّ) ونُصِبَ الباقي؛ تقول: "ما قام القوم زيدٌ إلاّ عمراً إلاّ بكراً".

## o المطلب السّادس: جملة الاستثناء في سورة النّساء:

وردت جملة الاستثناء في السّياق النّحويّ لسورة النّساء في عشرين موضعًا. والشّيء اللاّفت للنّظر أنّ أكثر الأدوات وروداً هي (إلاّ)؛ بل هي الوحيدة، وهي أمّ الباب، وأكثر ما يستدلّ بها على الاستثناء.

وقد تمثّلت في هذه الجمل جميع صور المستثنى، وبيان ذلك على النّحو الآتي:

- **جملة المستثنى المثبت:**

ورد هذا النّمط من جملة الاستثناء مرّتين فقط. وذلك في قوله تعالى:

- ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [٣].
- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [٤].

---

(١) لم أهتدِ إلى قائله، وهو من شواهد سيبويه: ٣٧٤/١، انظر شرح ابن عقيل: ٦٠٦/١

(٢) الشّيخ: اشتهر على ألسنة النّاس أنّه الجمل. الرّسم والرّمل: ضربان من السّير. شرح ابن عقيل: ٦٠٦/١

(٣) سورة النّساء: الآية (٢٤)

(٤) سورة النّساء: الآية (٨٧)

- **جملة المستثنى المنفي:**

ورد هذا النمط ستّ مرّات. في الآيات الآتية:

- ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ (١).
- ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً﴾ (٢).
- ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ (٣).
- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ (٤).
- ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٥).
- ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾(٦).

- **جملة المستثنى المنقطع:**

ورد هذا النّمط سبع مرّات في السّياق النّحويّ للسّورة. وذلك في قوله تعالى:

- ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ﴾ (٧).
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٨).
- ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ (٩).
- ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ (١٠).

---

(١) سورة النّساء: الآية (٢٢)
(٢) سورة النّساء: الآية (٢٩)
(٣) سورة النّساء: الآية (٦٦)
(٤) سورة النّساء: الآية (٩٢)
(٥) سورة النّساء: الآية (١٤٢)
(٦) سورة النّساء: الآية (١٧١)
(٧) سورة النّساء: الآية (١٩)
(٨) سورة النّساء: الآية (٦٤)
(٩) سورة النّساء: الآية (١١٤)
(١٠) سورة النّساء: الآية (١٤٨)

- ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ (١).
- ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ (٢).
- ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ (٣).

- **جملة المستثنى المفرّغ:**

وردت هذا النّمط خمس مرّات. وذلك في قوله تعالى:

- ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ (٤).
- ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ (٥).
- ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾ (٦).
- ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ (٧).
- ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٨).

هذا، وقد تمثّلت في جمل الاستثناء هذه؛ الّتي جاءت في سورة النّساء؛ كلّ الشّروط الّتي أشرنا إليها عند الحديث عن أنواع المستثنى. ما تخلّف منها شرط واحد.

ولم نلحظ تكراراً لأداة الاستثناء، ولا تقدّم المستثنى على المستثنى منه. ولا تقدّم معمول المستثنى عليه. ولم نلحظ كذلك تعدّد الاستثناء سواء أكان بعاطف أم بغيره.

---

(١) سورة النّساء: الآية (١٥٧)
(٢) سورة النّساء: الآية (١٥٩)
(٣) سورة النّساء: الآية (٨٤)
(٤) سورة النّساء: الآية (٦٢)
(٥) سورة النّساء: الآية (١١٣)
(٦) سورة النّساء: الآية (١١٧)
(٧) سورة النّساء: الآية (١١٧)
(٨) سورة النّساء: الآية (١٢٠)

# المبحث الخامس

## جملة القصر

تناولنا في المبحث الرّابع من هذا الفصل جملة الاستثناء. ولمّا كان الاستثناء -في أحد أنواعه- يقع على شبه من جملة القصر؛ رأى الباحث أن يفرد لهذه الأخيرة مبحثًا خاصًّا بها، للنّظر في هذه الجملة؛ وذلك ببيان حقيقتها وأقسامها.

فما هي جملة القصر؟ وما هي طرق القصر، وأقسامه بكلّ الاعتبارات الّتي تبنى عليها. كلّ هذه الأسئلة وغيرها ستدرس من خلال المطالب الآتية:

**o المطلب الأوّل: مفهوم القصر وحقيقته:**

القصر في اللّغة هو الحبس، كما جاء في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (١). أي: قصرن طرفهنّ وأنفسهنّ على أزواجهنّ (٢).

وعرّف القصر في الاصطلاح بأنّه: تخصيص شيء بشيء معهود (٣)، أو بطريق مخصوص (٤).

وبناء على هذا؛ فإنّ جملة القصر تقوم على ثلاثة أركان رئيسية هي:

- **الأوّل:** هو المقصور.
- **الثّاني:** هو الطّريق المخصوص؛ ويكون بأدوات خاصّة.

---

(١) سورة الرّحمن: الآية (٧٢)

(٢) انظر إعراب القرآن للنّحاس: ٣١٧/٤

(٣) انظر التلخيص: ١٣٧

(٤) انظر جواهر البلاغة: ١٧٩

وقد تحدّث السّيوطيّ عن القصر في كتابه (الاتقـــان)[١]، وسـمّاه الحصر والاختصاص. وأورد فيه أربعة عشر طريقاً. وقد شُغِل غـيره من العلماء بالقصر؛ لأهميّته في أداء المعاني.

فالقصر يعدّ ضرباً من ضروب الإيجاز، وبذلك فهو يحـــدّد المعـــاني تحديداً كاملاً.

وجملة القصر في مقام جملتين. فقولنا (الكمـــال لله) و (ليـــس كـــاملاً غيره)؛ يمكن جمعها في جملة واحدة (ما كامل إلا الله). وما كان هـــذا يتأتى لنا بهذه البساطة والإيجاز لولا القصر.

**o المطلب الثّاني: طرق القصر:**

ذكر الباحث -في غير هذا الموضع- أنّ السّيوطيّ قد أوصـــل طـــرق القصر إلى أربعة عشر طريقاً. فإنْ كانت طرق القصر بهذه الكـــثرة؛ فـــإنّ الثّابت أنّ له أربعة طرق مشهورة؛ هي:

- ١/ النّفي والاستثناء، وجملة القصر بهذا الطّريق، تماثل الاسـتثناء المفرّغ. ويكون النّفي بـــ (ما) عادة، كقوله صلّـــى الله عليـــه وسلّم: "**مَا أُحبُّ أنّ لِي مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبَاً أُنْفِقُـــهُ كُلَّـــهُ إلاَّ ثَلاَثَـــة دَنَانِير، وَأَنَّ هَؤُلاَءِ لاَ يَعْقِلُونَ إنَّمَا يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا..**"[٢].

وقد يكون النّفي بـــ (لم) و (لا) وغيرهما من أدوات النّفي.

فمن أمثلة القصر بهذا الطّريق قوله تعـــالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾[٣]. أي لستم في دعواكم للرّسالة صادقين، بل أنتم كاذبون عندنا[٤].

---

(١) **الاتقان في علوم القرآن**، السّيوطيّ، البابي الحلبي بمصر، ط٣، ١٩٥١م: ٤٩/٢

(٢) **فتح الباري**: ٣٦٧/١٠

(٣) سورة يس: الآية (١٥)

(٤) انظر **بغية الإيضاح**: ١٢/٢-١٣

ومن هذا الطّريق أيضاً قولك: ما من قائم إلاّ زيـــد. ومثالـــه بغير (ما)، قوله تعالى: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ (١). وقولـــه جلّ وعلا: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ (٢).

- ٢/ إنّما: وهذا هو الطّريق الثّاني: "والسّبب في إفادة "إنّما معنـــى القصر، هو تضمينه معنى: ما وإلاّ"(٣).

ويرى السّكّاكيّ رأْيَ أئمة النّحو أنّ "إنّما تأتي إثباتاً لمـــا يذكر بعدها ونفياً لما سواه"(٤).

وعلى هذا جاءت تخريج المفسّرين لقوله تعـــالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾ (٥).

وعلى هذا الطّريق يـــأتي مـــن الشّـــعر العربـــيّ قـــول الفرزدق(٦):

أَنَا الضَّامِنُ الرَّاعِي الذِّمَارِ وإِنَّمَا
يُدَافِعُ عَن أَحْسَابِهِم أَنَا أَوْ مِثْلِي

- ٣/ العطف: ويكون بـــ (لا، بل، ولكن). وهذا الطّريـــق "أقـــوى دلالة على القصر للتّصريح فيه بالإثبات والنّفي"(٧).

ففي قصر الموصوف على الصّفة يمكن القـــول: زيـــد شاعر لا كاتب، وفي قصر الصّفة على الموصـــوف يمكـــن القول: ما عمرو شاعر بل كاتب.

---

(١) سورة الشّعراء: الآية (١١٣)

(٢) سورة الشّعراء: الآية (١١٥)

(٣) **مفتاح العلوم**: ٢٩١

(٤) **المصدر نفسه**: ٢٩١

(٥) سورة البقرة: الآية (١٧٣)

(٦) انظر **ديوانه**: ٣١٥/٢، وانظر **مفتاح العلوم**: ٢٩٢، **الإيضاح**: ٧٢

(٧) **بغية الإيضاح**: ١٠

ويبدو الفرق بينهما في أنّ "الموصوف في الأوّل لا يمتنع أن يشاركه غيره في الوصف، ويمتنع في الثّاني، وأنّ الوصف في الثّاني يمتنع أن يكون لغير الموصوف، ولا يمتنع في الأوّل"(١).

- ٤/ تقديم ما حقّه التّأخير: وهذا الطّريق يتفرّع إلى ثلاثة:

**الأوّل:** تقديم المسند إليه، كما في قول المتنبّي(٢).

**وَمَا أَنَا أَسْقَمُ جِسْمِي بِهِ**

**وَلاَ أَنَا أَضْرَمْتُ فِي القَلْبِ نَارَاً**

**الثّاني:** تقديم المسند، كقول عمرو بن كلثوم(٣):

**لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا**

**وَنَبطشُ حِينَ نَبْطشُ قَادِرِينَا**(٤)

الثّالث: تقديم بعض القيود (المعمولات). كقوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (٥). وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٦).

---

(١) **مفتاح العلوم:** ٢٨٩

(٢) **ديوان المتنبّي:** ٩٥/٢

(٣) هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب من بني تغلب، أبو الأسود، شاعر جاهليّ من الطّبقة الأولى. ولد في شماليّ جزيرة العرب في بلد ربيعة وتجوّل فيها. وهو من الفتّاك الشّجعان، عمّر طويلاً. له معلّقته المشهورة. مات في الجزيرة الفراتيّة. انظر ترجمته في **الأعلام:** ٨٤/٥، **الشّعر والشّعراء:** ١٤١، **طبقات فحول الشّعراء:** ١٥١/٢، **خزانة الأدب:** ٢٠٣/١، **شذرات الذّهب:** ٢٠٤/٦

(٤) **المعلّقات العشر وأخبار شعرائها:** ٣٦٥، وانظر **ديوان عمرو بن كلثوم التّغلبي:** شرح وتحقيق د. عكاوي، ط١، دار الفكر العربيّ، بيروت، ١٩٩٦م: ١٠٧. انظر **العقد الفريد:** ٣٦٣

(٥) سورة البقرة: الآية (٢٨٤)

(٦) سورة الفاتحة: الآية (٥)

**o المطلب الثّالث: أقسام القصر:**

يقسّم القصر باعتبارين[١]:

- ( أ ) باعتبار الحقيقة والواقع. وبناء على هذا، فهو ينقسم إلى:

١/ قصر حقيقيّ.

٢/ قصر إضافيّ.

- (ب) باعتبار طرفيه، وبناء على ذلك له قسمان:

١/ قصر صفة على موصوف.

٢/ قصر موصوف على صفة.

- **تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع:**

١/ قصر حقيقيّ: وهو أن يختصّ المقصور عليه بحسب الحقيقة بألاّ يتعدّاه إلى غير أصلاً، ومثاله قوله تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [٢].

٢/ قصر إضافيّ: وهو أن يختصّ المقصور عليه بحسب الإضافة، وهو النّسبة إلى شيء آخر معيّن، لا جميع ما عداه، نحو: "ما عليّ إلاّ شاعر" وأنت تريد قصر الشّاعريّة عليه بالنّسبة لشخص معيّن، كأحمد مثلاً، وليس قصدك ألاّ شاعر غيره، إذ الواقع يشهد ببطلان هذا الزّعم.

- **تقسيم القصر باعتبار طرفيه:**

طرفا القصر هما: المقصور عليه، سواء أكان القصر حقيقيّاً أم إضافيّاً، فإنّ القصر بناء على هذين الطّرفين ينقسم إلى:

---

(١) انظر جواهر البلاغة: ١٨٣

(٢) سورة محمّد: الآية (١٩)

١/ قصر صفة على موصوف: وهو: "أنْ تُحبس الصّفة على موصوفها وتختصّ به، فلا يتّصف بها غيره، وقد يتّصف هذا الموصوف بغيرها من الصّفات"(١)، نحو: "لا رازق إلاّ الله".

٢/ قصر موصوف على صفة: هو "أن يُحبس الموصوف على الصّفة ويختصّ بها دون غيرها، وقد يشاركه غيره فيها"(٢) نحو: "ما محمّد إلاّ كاتب". ونحو قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (٣).

**o المطلب الرّابع: موقع المقصور عليه في جملة القصر:**

يتحدّد موقع المقصور عليه من جملة القصر بناء على طرق القصر الّتي أشرنا إليها سابقاً. وبيان ذلك على النّحو الآتي:

- ١/ إذا كان الطّريق (النّفي والاستثناء)؛ فإنّ المقصور عليه، هو المذكور بعد أداة الاستثناء، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (٤).
- ٢/ وإذا كان الطّريق: (إنّما)؛ فالمقصور عليه هو المؤخّر، ويكون تأخيره واجباً، نحو: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ (٥).
- ٣/ وإذا كان (لا) العاطفة؛ فهو المذكور قبلها والمقابل لما بعدها(٦)، نحو: الفخر بالعلم لا بالمال. مع (بل) و (لكن) العاطفتين، يكون المذكور بعدهما نحو: "ما الفخر بالنّسب بل بالتّقوى".

---

(١) **جواهر البلاغة:** ١٨٥

(٢) **المرجع نفسه:** ١٨٥

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٤٤)

(٤) سورة هود: الآية (٨٨)

(٥) سورة الحديد: الآية (٢٠)

(٦) انظر **جواهر البلاغة:** ١٨٣

- ٤/ وإذا كان الطّريق (تقديم ما حقّه التّأخير)، فإنّ المقصور عليه هو المذكور المتقدّم نحو: "على الله توكّلنا".

**o المطلب الخامس: تقسيم القصر الإضافيّ:**

ينقسم القصر الإضافي على حسب حالة المخاطب إلى:

١/ قصر إفراد.

٢/ قصر قلب.

٣/ قصر تعيين.

- ١/ قصر إفراد: ويكون ذلك إذا اعتقد المخاطب الشّركة، فيرد القصر كقولنا: "إنما الله واحد"، ردا على من اعتقد أنّه ثالث ثلاثة.
- ٢/ قصر قلب: ويكون في حالة أن يعتقد المخاطب عكس الحكم الّذي تثبته، نحو: ما مسافر إلّا عليّ، ردّاً عَلَى من اعتقد أنّ المسافر (محمّد) لا عليّ.
- ٣/ قصر تعيين: ويجيء هذا إذا كان المخاطب متردّداً في كون الأرض متحرّكة أو ثابتة. فنقول له حينئذ: الأرض متحرّكة لا ثابتة.

**o المطلب السّادس: جملة القصر في سورة النّساء:**

تمثّلت جملة القصر في السّياق النّحويّ لسورة النّساء؛ بالطّرق الأربعة الّتي سبقت الإشارة إليها. وذلك على النّحو الآتي:

- **النّمط الأوّل: جملة القصر بالنّفي والاستثناء:**

وردت جملة القصر بهذا الطّريق في سبعة عشر موضعاً. وقد تفرّع إلى ثلاثة فروع بيانها على النّحو الآتي:

- **الفرع الأوّل: القصر بـ (لا - إلّا):**

تردّد هذا الفرع سبع مرّات. وذلك في قوله تعالى:

- ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ (١).
- ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ (٢).
- ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ (٣).
- ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤).
- ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ (٥).
- ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦).
- ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ (٧).

- **الفرع الثّاني: القصر بـ (ما - إلّا):**

تكرّر هذا الفرع ستّ مرّات. وتمثّل في قوله تعالى:

- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٨).
- ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ (٩).
- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ (١٠).

---

(١) سورة النّساء: الآية (١٩)
(٢) سورة النّساء: الآية (٢٢)
(٣) سورة النّساء: الآية (١١٤)
(٤) سورة النّساء: الآية (١٤٢)
(٥) سورة النّساء: الآية (١٤٨)
(٦) سورة النّساء: الآية (١٥٥)
(٧) سورة النّساء: الآية (١٧١)
(٨) سورة النّساء: الآية (٦٤)
(٩) سورة النّساء: الآية (٦٦)
(١٠) سورة النّساء: الآية (٩٢)

- ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ (١).
- ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٢).
- ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ (٣).

- **الفرع الثّالث: القصر بـ (إنْ - إلاّ):**

تردّد هذا الفرع أربع مرّات في ثنايا سورة النّساء. وذلك في قوله تعالى:

- ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ (٤).
- ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾ (٥).
- ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ (٦).
- ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ (٧).

- **<u>النّمط الثّاني: جملة القصر: بـ (إنّما):</u>**

ورد هذا النّمط في موضعين فقط. وفي آية واحدة وفي حدث واحد، وهو إبطال ألوهيّة المسيح عليه السّلام، وبيان أنّ الله سبحانه واحد لا شريك له. جاء ذلك في قوله تعالى:

- ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ (٨).
- ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ﴾ (٩).

---

(١) سورة النّساء: الآية (١١٣)
(٢) سورة النّساء: الآية (١٢٠)
(٣) سورة النّساء: الآية (١٥٧)
(٤) سورة النّساء: الآية (٦٢)
(٥) سورة النّساء: الآية (١١٧)
(٦) سورة النّساء: الآية (١١٧)
(٧) سورة النّساء: الآية (١٥٩)
(٨) سورة النّساء: الآية (١٧١)
(٩) سورة النّساء: الآية (١٧١)

- **النّمط الثّالث: جملة القصر بالعطف:**

جاءت جملة القصر بهذا الطّريق في موضع واحد. وكان تعيين القصر فيها بالأداة (بل). وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (١).

- **النّمط الرّابع: جملة القصر بطريق (تقديم ما حقّه التّأخير):**

جاء هذا النّمط في عشرة مواضع في السّياق النّحويّ للسّورة. وبيان ذلك على النّحو الآتي:

- ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ (٢).
- ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ (٣).
- ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ (٤).

ويُرى أنّ التّقديم ههنا "للرّجال" و "للنّساء"؛ إنّما مردّه للعناية والاهتمام، وبخاصّة قوله تعالى: "للنّساء" حتّى يُعلم أنّ لهنّ حقّ أصيل في الميراث.

- ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ (٥).
- ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ (٦).
- ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ (٧).
- ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ (٨).

---

(١) سورة النّساء: الآية (١٥٧)، (١٥٨)
(٢) سورة النّساء: الآية (٧)
(٣) سورة النّساء: الآية (٧)
(٤) سورة النّساء: الآية (١١)
(٥) سورة النّساء: الآية (١٢)
(٦) سورة النّساء: الآية (٣٣)
(٧) سورة النّساء: الآية (٤٦)
(٨) سورة النّساء: الآية (٨٨)

- ﴿فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ (١).

- ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (٣).

والآية الأخيرة قد تكررت ثلاث مرات في السّورة.

ونرى أنّ التقدّم "لله" فيه عناية بشأن الخالق جلّ وعلا، ثمّ تتلوه مخلوقاته (السّموات والأرض).

وهكذا نرى أن جملة القصر قد تمثّلت بكلّ طرقها في التّركيب النّحويّ للسّورة. وكان هنالك تفاوت بين هذه الطّرق من حيث الورود.

فالطّريق (النّفي والاستثناء) هو الأكثر ورودًا، يليه الطّريق (تقديم ما حقّه التّأخير)، ويأتي ثالثًا الطّريق (إنّما). ويأتي طريق (العطف) في المنزلة الأخيرة؛ مع أنّه أكثر الجميع دلالة على القصر. وقد جاء العطف بالأداة (بل) وفي موضع واحد فقط.

وقد رأينا أنّ القصر كان له دور في تحديد المعاني تحديدًا دقيقًا؛ ليقع الوصف المحصور متفرّدًا لدى السّامع دون غيره. فيتحقّق المراد منه.

---

(١) سورة النّساء: الآية (٩٤)

(٣) سورة النّساء: الآيات: (١٢٦)، (١٣١)، (١٣٢)

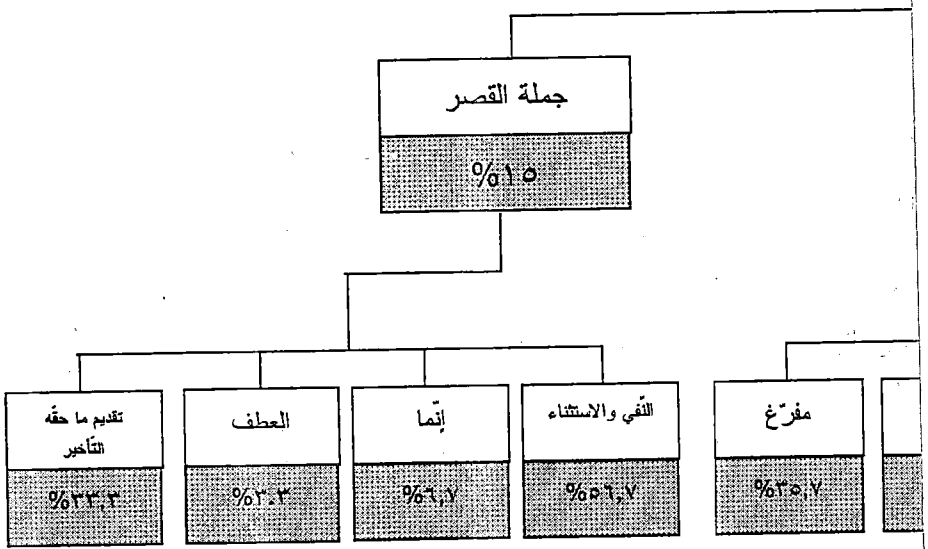


مكمّلة للإسناد الخبريّ في سورة النّساء

## أوّلاً: ملخّص البحث

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين، سيّدنا محمّد وعلى آله وصحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

وبعد؛ فمن المقطوع به؛ أنّ القرآن الكريم كنز لا ينفد، وبحر من العلوم والمعارف المتنوّعة، لا ينضب. وذلك لما تميّز به من علوم باهرة وإعجاز مفحم.

ومنذ أن نزل القرآن الكريم على النّبيّ الخاتم صلّى الله عليه وسلّم، والنّاس لا يكفّون عن النّظر فيه. ويأخذون بالتّأمل العميق ألفاظه وتراكيبه ودلالته. فقد فسّروا آياته؛ ونظروا ألفاظه: فصيحها وغريبها، وعلّلوا إعجازه، وسر تفوّقه، وغير ذلك من نتاجات النّظر والتّعليل الّتي لا ينفكّ الزّمان يتحفنا بإشراقات منها، في كلّ وقت وحين.

وقد تحدّى القرآن - وما يزال - العرب والعجم -على السّواء- في أن يأتوا بمثله، وأخذ بالتّأكيد الغليظ أنّهم غير قادرين على ذلك: فرادى أو مجتمعين؛ ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (١).

وفي ظلّ إقبال الشّعوب على الإسلام؛ وجد المسلمون الأوائل أنّهم مطالبون ببيان تفوّق القرآن وسرّ الإعجاز فيه؛ بعد أن اختلطت الأجناس وامتزجت في المجتمع الإسلاميّ. وحمل كلّ جنس منها تراثه الثّقافيّ؛ وأخذ يروّج له، فتعدّدت -من جرّاء ذلك- الفرق، ونشأ الحوار والجدل بينها.

ولعلّ الغيرة وحدها؛ هي الّتي حملت المسلمين الأوائل على أن يعكفوا على كتابهم العزيز، لدراسة وبيان وجوه الإعجاز فيه.

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٨٨)

وبناء على هذا النّشاط العلميّ، نجد أنّ وجوه الإعجاز القرآنيّ، قد تعدّدت بتعدّد القائمين عليه. حيث أخذ كلّ فريق -بناء على ثقافته- ببيان الوجه الّذي يهمّه من القرآن الكريم. ومن هنا يمكن أن نفسر ما نرى من تعدّد وجوه إعجاز القرآن.

وفي العصر الحديث توالت الجهود؛ فنظرت ما في القرآن من حقائق علميّة وطبيّة[1]، أكدّت صحّتها وصدقها العلوم التّجريبيّة الحديثة. إلى غير ذلك من الجهود الّتي نهض بها المسلمون في الماضي والحاضر.

وممّا لا شكّ فيه أنّ خُلاصات العلوم التّجريبيّة والإنسانيّة في عصرنا هذا، قد كَثُرت وَنَشِطَت وتنوّعت؛ فصار نتاجُها المتراكم في العقدين الأخيرين، يفوق ذلك الّذي خلّفه أسلافنا الأوائل خلال قرن أو قرنين، على أقلّ تقدير.

وَمَرَدّ ذلك أنّ معطيات عصرنا العلميّة والتّقنيّة والثّقافيّة، قد أعانت على النّظر والتّأمّل في التّراث الدّينيّ والأدبيّ والعلميّ، وهي بالتّالي تؤهّلنا للكشف عن جوانب هذا التّراث وبيان سرّ تفوّقه وعبقريّته.

وهذا من شأنه أن يساعد في إضافة شيء جديد إلى جهود العلماء الأوائل. أو السّير خطوة أخرى نحو استكمال الجهود التي سبقت.

ومن الثّابت والمعلوم - بالضرورة - أنّ جهود العلماء في جانب العلوم الإنسانيّة يُكْمِل بعضها بعضاً؛ بخلاف الحال في العلوم التّجريبيّة الّتي يَكْثُر فيها هَدْمُ القديم من أجل الجديد. فكلّ جديد يهدم قديماً، أو يعمل على تقويضه، وربّما أدّى ذلك إلى انصراف النّاس عنه.

---

(١) انظر الإعجاز الطّبيّ في القرآن. د. السّيّد الجميليّ، قدّم له فضيلة الشّيخ محمد متولّي الشّعراويّ، دار ومكتبة الهلال للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ١٩٩٢م:١١١، ٢١٩،٢٣٩. وانظر **الجديد في المنظور العلميّ للقرآن الكريم**، د. إسلام الشّبراويّ: ٢٣،٦٩،١٦٥،٢٧٧. وانظر **الطّبيعيّات والإعجاز العلميّ للقرآن الكريم**، د. عبد العليم عبد الرّحمن خضر، ط١، الدّار السّعوديّة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م:١١،٦٧،٢٠٥،٢٥١

وهذه الدّراسة: "أنماط الجملة العربيّة في القرآن الكريم"؛ تسير على هذا النّهج ذاته، وتأخذ بذلك التّصوّر وتتآلف معه. وتنتظم في ذلك العقد الّذي يسعى إلى كشف أسرار الإعجاز القرآنيّ؛ من خلال استنطاق النّصوص القرآنيّة، وإخضاعها للدّراسة.

وهذه النّصوص ليست أنماطاً متكرّرة، تُعْرَف ويحيط المرء بها كلّها؛ عندما يسير أغوار بعضها، بل كلّ منها له ما يختصّ به. وما يحتفظ بجوانب التّفوّق والتّفرّد فيه، وبذلك تقع الفروق بين النّصوص القرآنيّة.

وقد أراد الله -في دراستي هذه - أن يوجّهني إلى النّظر والتّأمّل في سورة النّساء. فكانت النّصّ المستهدف بالدّراسة.

ولعلّ الإلمام بمُرَجّحات اختياري لهذه السّورة، ربّما يشفع لي من الفهم التّلقائي الّذي ربّما ينشأ عند البعض: أنّ سورة النّساء تتفوّق على غيرها من السّور القرآنيّة. فإنْ صحّ هذا -في بعض جوانبه- فإنّ لكلّ سورة ما يجعلها نسيجاً فريدًا مستقلّاً. وقد تكون ذات خصائص متفرّدة، وقد تشارك غيرها في خصائص أخرى. لكنّ سماتها الخاصّة، تظلّ قائمة وبارزة تميّزها عن غيرها.

ولقد أثبتّ في مدخل الدّراسة المرجّحات الّتي دفعتني إلى هذه السّورة؛ ولعلّي هنا اقتصر على أظهرها. وهي على النّحو الآتي:

**o المرجّح الأوّل:**

التّراكم المعرفيّ الكبير والمتنوّع الّذي وقفت عليه في السّورة، والّذي عكس لي حالة المجتمع الإسلاميّ يومذاك. حيث وقفت على ماهيّة الأدواء والعلل الّتي كانت فيه؛ الأمر الّذي استدعى مجيء هذه السّورة لمعالجتها؛ ومن ثمّ استخلاص المجتمع المعافى الّذي يحمل رسالة الإسلام.

**o المرجّح الثّاني:**

تفرّد السّورة ببعض القضايا الكبرى. ولم أجد ذلك في غيرها من السّور. وقد اخترت هذه السّورة من باب لفت النّظر إلى تلك القضايا، وهي:

١/ التّعدّد.
٢/ الميراث.
٣/ مهور النّساء والمعاشرة الزّوجيّة والمحرّمات من النّساء.
٤/ القوامة والإصلاح بين الأزواج، والقول بعدم العدل بين الزّوجات.
٥/ الإعجاز العلميّ وقد تمثّل في الآية (٥٦).
٦/ الأمانة والأمر بأدائها إلى أهلها.
٧/ الموت كصورة حتميّة لا مفرّ منها.
٨/ التّحيّة.
٩/ الشّرك ومآل مَنْ يشرك بالله.
١٠/ القول بعدم صلب المسيح، وإبطال عقيدة التّثليث.

**o المرجّح الثّالث:**

تضمّ هذه السّورة جوانب فنيّة رفيعة، قرّرتها النّظريّات النّحويّة المعاصرة. كما تتمثّل فيها ظواهر مختلفة الدّلالات والتّراكيب وطرائق متنوّعة للتّعبير؛ في الرّموز والأدوات والأفعال والجمل والجوانب الصّوتيّة والأسلوبيّة. وكلّ ذلك تعنى به الدّراسات النّحويّة والبلاغيّة واللّغويّة، وما يتّصل بها.

وهذه الدّراسة (٤٥١) صفحة قد اخترت لها أن تقع في مقدّمة ومدخل وستّة فصول وخاتمة.

فأمّا المقدّمة؛ فقد كانت مجالاً رحباً أوضح فيه الباحث ما يلي:

١/ أهميّة البحث ومبرّراته ٢/ مشكلة البحث
٣/ بواعث اختيار الموضوع ٤/ أهداف البحث
٥/ مصطلحات البحث ٦/ منهج البحث وعمل الباحث
٧/ مكانة البحث من الدراسات السابقة ٨/ هيكل البحث

وأمّا المدخل؛ فقد كان مجالاً عـرّف فيـه البـاحث بسـورة النّسـاء والمجالات الّتي تناولتها. وأسباب اختياره لها.

وأمّا هيكل البحث؛ فقد أقمته على ستّة فصول؛ بيّنت أوّلاً كـلّ فصـل وعنوانه ومدى صفحاته في البحث، ثم تناولت في الفصل الأول مفهوم الجملة العربيّة وحقيقتها؛ حيث عرّفت بالجملة العربيّة، وبيّنـت حدّهـا، ووضّحـت الفرق بين الجملة والكلام والقول. وختمت بأقسام الجملة العربيّة، والّتي بـدت لي أنّها تنقسم بناء على ستّة اعتبارات: باعتبار النّوع؛ وهي تبعًا لذلك، جملـة اسميّة، وجملة فعليّة، وجملة شرطيّة، وباعتبار الوصف؛ وهي بـهذا جملـة كبرى وجملة صغرى. وباعتبار الإعراب؛ وتكون تبعاً لذلك: جملاً لا محـلّ لها من الإعراب، وجملاً لها محلّ من الإعراب. وباعتبار الأسـلوب؛ فـهي جملة إنشائيّة طلبيّة، وجملة إنشائيّة غير طلبيّة. وتنقسم كذلك باعتبار المعنـى، واعتبار المحلّ.

أمّا الفصل الثّاني؛ فقد أفردته للحديث عن الجملة الخبريّة؛ من خـلال مبحثين: ففي المبحث الأول، جاء الحديث عن الجملة الاسميّة الأساسيّة، حيث تناولت الابتداء بالمعرفة، ثم بالنّكرة. وتطرّقت إلى تعدّد الخـبر، ثـم تقديـم الخبر. وفي المبحث الثاني، كان الحديث عن الجملة الاسميّة المنسوخة. مـن خلال ثلاثة مطالب انبثقت عنه. تناولت ما يرفع المبتدأ وينصب الخبر، وهـو (كان وأخواتها) و (كاد وأخواتها). ثم أخذنا الحديث، فتنـاولت مـا ينصـب المبتدأ ويرفع الخبر وهو (إن وأخواتها) و (لا) النّافية للجنس. وختمت هـذا الفصل بما ينصب المبتدأ والخبر، فكانت (ظنّ وأخواتها) و (أعلم وأخواتها).

أمّا الفصل الثّالث؛ فقد خصّصته للجملة الفعليّة، وكان الوعـاء الّـذي استوعبها قوامه سبعة مباحث. حيث تناولت في المبحث الأوّل الجملة الفعليّـة ذات الفعل اللّازم. وفي المبحث الثّاني الجملة الفعليّة ذات الفعل المتعدّي. وفي المبحث الثّالث الجملة الفعليّة ذات الفعل المبني للمجهول. وكان المبحث الرّابع مجالاً لنصب الجملة الفعليّة، تلاه الخامس؛ وقد أوقفته لجزم الجملة الفعليّة. ثمّ

كان السّادس وهو لنفي الجملة الفعليّة. وفي المبحث السّابع -وهو الأخير في هذا الفصل- عرضت فيه مسائل نحويّة في الجملة الفعليّة كاسم الفاعل العامل عمل الفعل، والمصدر العامل عمل الفعل، وتقدّم المفعول على الفاعل، وتأنيث الفاعل مع الفعل.

وجاء الفصل الرّابع، وقد خصّص لتناول الجملة الإنشائيّة. ففي المبحث الأوّل منه، والّذي وقع في ستّة مطالب؛ تناولت جملة الاستفهام، وجملة الأمر، وجملة العرض والتّحضيض، وجملة النّداء وجملة النّهي وجملة التّمنيّ، وفي المبحث الثّاني تناولت الجملة الإنشائيّة غير الطّلبيّة، حيث كانت جملة التّعجّب، وجملة المدح والذّمّ، وجملة القسم.

وأمّا الفصل الخامس؛ فقد أوقفته لمعالجة الجملة الشّرطيّة، وقد جاء في أربعة مباحث؛ ففي المبحث الأوّل منه، بسطت مفهوم الشّرط وحقيقته؛ إذ بيّنت معنى الشّرط وأدواته، وأنواع الجملة الشّرطيّة. وفي المبحث الثّاني؛ عرضت الجملة الشّرطيّة المحفوظة الرّتبة مع الأدوات: (إنْ) و (مَنْ) و (إذا) و (أمّا) و (لولا) و (ما) و (أينما) و (لو). وفي المبحث الثّالث الجملة الشّرطيّة غير المحفوظة الرّتبة؛ مع الأدوات (إذا) و (لو) و (لولا). وفي المبحث الأخير كانت نظرة حول قضايا الجملة الشّرطيّة، حيث عرضت صوراً منها كاقتران جواب الشّرط بالفاء. وتوالي شرطين أو أكثر، ووقوع الحذف في الجملة الشّرطيّة، واجتماع الشّرط والقسم.

وخصّصت الفصل السّادس لتناول الجمل المكمّلة للإسناد الخبريّ. وقد وقع هذا الفصل في خمسة مباحث. تناولت في الأوّل منها جملة الجواب بـ (نعم) و (بل) و (لا) و (أجل) و (إذا). وكان المبحث الثّاني لجملة الحال؛ حيث عرّفت بالحال، وبيّنت شروطه. وذكرت صاحبه، وتكلّمت عن واو الحال، وأنواع الحال. أمّا المبحث الثّالث؛ فكان الحديث عن جملة الصّلة؛ حيث بيّنت مفهومها وأنواعها. وكان المبحث الرّابع لجملة الاستثناء، وقد ابتدرته ببيان مفهوم الاستثناء، وأنواع الاستثناء ثمّ أدواته، وحكم المستثنى.

وتناولت في ختام الفصل جملة القصر. وتمّ ذلك ببيان مفهوم القصر، وحقيقته، وطرقه، وأقسامه، وبيّنت موضع المقصور عليه في جملة القصر، ثم ختمت بالحديث عن القصر الإضافيّ.

وكانت الدّراسة من خلال هذه الفصول؛ تسير على نهج واضح. حيث كان الباحث ينظر القاعدة النّحويّة، ثمّ يضع التّراكيب على أنماط الجمل الّتي تبدو له؛ ثمّ يلتمس أمثلة لها في التّركيب النّحويّ لسورة النّساء. وبين هذا وذاك، كان يجري تمحيصاً للآراء النّحويّة الواردة في هذا الصّدد؛ وذلك عن طريق العرض والمناقشة.

وكان الباحث كثيراً ما يلجأ إلى القياس والتّقدير؛ بالجداول والمصوّرات التّخطيطيّة لبيان الفرق في السّمة أو الخاصيّة، بين وحدات الجمل وأنماطها.

ووضع الباحث في صلب هذه الدّراسة خاتمة تناول فيها ملخّص الدّراسة، والنّتائج الّتي أفضت إليها. ثمّ قدّم طائفة من التّوصيات لتكون خير عون للطّلاّب والباحثين من بعده؛ إذا وجدوا فيها ما يستحقّ الرّكون إليه؛ فكلّ امرئ يؤخذ منه ويردّ إلاّ صاحب الرّوضة الشّريفة، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم.

## ثانياً: نتائج البحث

بدا للباحث بعد الفراغ من دراسة النّظام اللّغويّ لسورة النّساء ومن تحليل آياتها إلى ما اشتملت عليه من الجمل وأنماطها المختلفة -بناء على القواعد التي رسمها النّحاة- بدا له أنّ هذه القواعد لم تخالف الآيات الكريمات، وما اشتملت عليه من أصول قام عليها البناء التّركيبي للسّورة.

لقد تحقّق للباحث وثبت له أنّ القرآن الكريم من خلال سورة النساء، قد مثّل كلّ أنواع الجمل وأنماطها وتراكيبها، الّتي تحدّث عنها النّحاة قبلاً، تمثيلاً

تامّاً. ولو عرض الباحث أبواب النّحو العربيّ كلّها؛ تلك الّتي أخذت بالجملة العربيّة، وقَابَلَ ذلك مع القرآن الكريم؛ لوجد لكلّ باب من أبواب النّحو شاهداً في القرآن الكريم.

من أجل ذلك تسير نتائج هذا البحث في مسارين: نتائج تتعلّق بالنّظام اللّغويّ لسورة النّساء، ونتائج تتعلّق بالتّركيب النّحويّ للسّورة ذاتها.

**o ( أ ) نظرات في النّظام اللّغويّ لسورة النّساء:**

من المقطوع به أنّ كتب النّحو قد أخذت بتفصيلات كثيرة في الموضوع الواحد؛ الأمر الّذي لا نجد له نظيراً في القرآن الكريم. لكنّ النّحو العربيّ والقرآن الكريم يلتقيان في الخطّ البيانيّ العامّ الّذي يمثّل الجملة العربيّة.

ومع هذا؛ فقد لاحظ الباحث بعض الظّواهر النّحويّة في لغة القرآن الكريم، من خلال دراسته لهذه السّورة؛ ممّا حدا به للوقوف عندها. وهذه الملاحظات قد شكّلت جانباً من نتائج البحث. وهي على النّحو الآتي:

- **(١) ظاهرة تناوب حروف الجرّ من حيث المواقع والدّلالات:**

يعدّ الحرف في الكلم العربيّ ثالث ثلاثة. وهذا من الأمور البدهيّة الّتي لا يخلو منها كتاب كان حديثه النّحو العربيّ. وقد بدأ ابن مالك الألفيّة بقوله:

**كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَاسْتَقِمْ * وَاسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الْكَلِمْ**(١)

ومن المسائل الّتي نالت اهتمام النّحاة؛ هي مسألة تناوب الحروف، ودلالة بعضها على معاني غيرها.

ولا بدّ من القول: إنّ الحرف لا يقع موقع غيره من الحروف إلّا إذا أردنا معنى ذلك الحرف الآخر، وإلّا إذا صار الأمر ضرباً

---

(١) شرح ابن عقيل: ١٣/١

من الغوص في تعبيرات لا حدّ لها[١]. وبناء على ذلك؛ فلكلّ حرف معنى يطلبه ويفيده في الجملة[٢]، والحروف في الجملة العربيّة تتوزّع على حسب ما تستدعيه الحاجة، ويقتضيه السّياق والحال.

ولقد ألفيت هذه الظّاهرة ماثلة في السّياق النّحويّ لسورة النّساء. وقد قمت بتسجيل شواهد منها. أذكر من ذلك ما يلي:

- **أ/ (في) بمعنى (مِنْ) وبمعنى (عن):** وذلك في قوله تعالى:
  - ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ...﴾ [٣].
  - ﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [٤].
- **ب/ (عن) بمعنى (على):** وذلك في قوله تعالى:
  - ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [٥].
  - ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [٦].
- **ج/ (الباء) بمعنى (على) و (الكاف) و (اللّام):** وذلك في قوله تعالى:
  - ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ [٧].
  - ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [٨].
  - ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمُ﴾ [٩].

---

(١) انظر **تناوب حروف الجرّ في لغة القرآن الكريم**، د. محمد حسن عوّاد، ط١، دار الفرقان، عمّان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م: ١٧

(٢) انظر **من أسرار التّعبير في القرآن** (حروف الجرّ)، د. عبد الفتّاح لاشين، ط١، شركة مكتبة عكاظ للنّشر والتّوزيع، جدّة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م: ٩٧

(٣) سورة النّساء: الآية (٥)

(٤) سورة النّساء: الآية (٦٣)

(٥) سورة النّساء: الآية (٢٨)

(٦) سورة النّساء: الآية (٢٩)

(٧) سورة النّساء: الآية (١٠٢)

(٨) سورة النّساء: الآية (١٠٥)

(٩) سورة النّساء: الآية (١٥٣)

- **د/ (من) بمعنى (في):** وذلك في قوله تعالى:
  - ﴿وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾ (١).
- **هـ/ (في) بمعنى (إلى):** مثل قوله تعالى:
  - ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ (٢) أي تهاجروا إلى المدينة(٣).
- **(٢) اعتماد الظّواهر العامّة للّغة المشافهة (اللّغة المنطوقة):**

لمّا كان همّ المتكلّم هو إبلاغ غرضه بأيسر الطرق، فإنّه تبعاً لذلك لا يلزم نفسه بالقيود اللّغويّة الّتي يلتزمها الكاتب. ونجده في سبيل ذلك يستعمل عوامل عدّة؛ كان لا بدّ له أن يأخذ بشيء منها، لو لم يُودِع فكرتَه الكتابة. فهو يستعمل الإيماءة أو الإشارة أو يستخدم النّبر وتنغيم الصّوت، وما إلى ذلك.

وقد بَدَتْ لي عدّة تراكيب في السّورة، وجدتُها قد أخذت بمبدأ اعتماد اللّغة المنطوقة. وهذا أمر بدهيّ؛ فالقرآن الكريم قد نزل على أقوام نشأت على الأميّة، وكانت تأخذ علومها مشافهة، قبل أن يدوّن القرآن هذا السّفر الجليل. ومن هذه الظّواهر الّتي جاءت في تركيب السّورة؛ ما يلي:

١/ النّداء بدون أداة.

٢/ الحذف.

٣/ الإيجاز.

وسوف أكتفي بالحذف والإيجاز؛ على اعتبار أنّ النّداء قد تمّ تناوله في الفصل الرّابع (الجملة الإنشائيّة).

---

(١) سورة النّساء: الآية (٢٣)

(٢) سورة النّساء: الآية (٩٧)

(٣) انظر الأشباه والنّظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان البلخيّ، تحقيق د. عبد الله شحاته، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م: ١٨٨.

- **( أ ) الحذف:**

تطلق لفظة (الحذف) فيراد بها الاستغناء عن جزء من الكلام لدلالة السّياق عليه. ودلالة السّياق هذه تسمّى عند النّحاة الأوائل (الحال المشاهدة). والّتي أصبحت بدورها مسوّغًا من مسوّغات الحذف؛ إذ "التّعبير بالحال المشاهدة مصطلح صريح من مصطلحهم، واتّخاذه دليلاً على الحذف خاصّة أصل متواتر في كتبهم[١].

وقد تحدّث النّحاة عن الحذف بصيغ مختلفة، بصورة مباشرة وغير مباشرة[٢]. وبهذا؛ فإنّه من "سمات العربيّة البيّنة في مسائل النّحو والصّرف والخطّ على الرّغم من مغايرة المنطوق في الخط للمكتوب في كثير من الألفاظ الّتي اتّفق على الحذف فيها للتّخفيف على الكاتب، وهي مسألة تكثر بها الأوجه، وتزداد، وتتعدّد"[٣].

هذا؛ وقد وقع الحذف في التّركيب النّحويّ لسورة النّساء. في الأدوات، وفي أصل الجملة، وفي مكمّلاتها أيضًا. وقد رأيته يمثّل نمطًا راقيًا من أساليب التّعبير. فممّا ورد من ذلك قوله تعالى:

- ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾[٤]. أي (تفرّقتم) أو (افترقتم) فئتين. حيث إنّ دلالة السّياق تقوم بالمعنى، لذا وقع الحذف.
- ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[٥]. حيث حذفت العبارة (من أمر) مع

---

(١) الأعراف، أو نحو اللّسانيّات الاجتماعيّة في العربيّة، د. نهاد موسى، فصل من كتاب الملتقى الدّوليّ الثّالث في اللّسانيّات، مركز الدّراسات والأبحاث الاقتصاديّة والاجتماعيّة، تونس: ١٦١

(٢) انظر الكتاب: ١٣٠/٢، أسرار العربيّة: ١٦٣

(٣) فنّ الإملاء، د. عبد الفتّاح أحمد الحمويّ، دار عمّان للنّشر والتّوزيع، الأردن، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٧١٥/٢

(٤) سورة النّساء: الآية (٨٨)

(٥) سورة النّساء: الآية (١١٤)

(الباء) الجارّة قبل قوله (أو معروف) (أو إصلاح)؛ لقيام (أو) العاطفة بذلك. والشّاهد على الحذف هو الخفض في كلّ من (معروف) أو (إصلاح).

- ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ (١). أي ولو حرصتم (على العدل). فلا داعي لإثبات ذلك، والمصدر المؤوّل (أن تعدلوا) الّذي تقدّم قد أفاد المعنى، فلا داعي للتّكرار.

وهذا الجزء الّذي حُذف لو تُرك لكانت الجملة من قبيل الإرصاد أو التّسهيم، كما هو معروف عند البلاغيّين(٢).

- **( ب ) الإيجاز:**

الإيجاز هو حذفُ زيادات الألفاظ. هكذا عرّف به ابن الأثير(٣). وهو عنده ضرب من الكلام شريف لا يبلغه إلّا فرسان البلاغة، وذلك لعلوّ مكانه وتعذّر إمكانه. ثمّ إنّ "النّظر فيه إنّما هو إلى المعاني لا إلى الألفاظ"(٤). فربّ قليلٍ كان دليلاً على المعنى الكبير. أي أنّ الإيجاز هو "التّعبير عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة"(٥).

ولعلّ الإيجاز هو الّذي أومأ إليه الرّسولﷺ بـ (جوامع الكلم)؛ في الحديث الّذي يقرأ: "**فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ**

---

(١) سورة النساء: الآية (١٢٩)

(٢) انظر بغية الإيضاح: ٢١/٤

(٣) هو أبو الفتح نصر الله ضياء الدين بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير، الجزري، الموصلي، وولد عام ٥٥٠هـ. من أشهر مؤلفاته المثل السائر، والوشي المرقوم ف حل المنظوم.توفى سنة ٦٣٧هـ. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ٣٦/٢، معجم البلدان: ١٠٢/٣

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٦٨/٢

(٥) مفتاح العلوم: ٢٢٧

**الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ"**(١).

وكان القرآن قد سبق إلى الإيجاز، وتمثّلت فيه صور الإيجاز على مستوى عالٍ من البلاغة، ويكفي أن نعطي أمثلة لذلك، من سورة النساء وهي قوله تعالى:

- ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ (٢).
- ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ﴾ (٣).
- ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٤).
- ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٥).

- **(٣) التفات لغة القرآن الكريم إلى اختلاف اللّهجات العربيّة:**

ثبت للباحث من خلال نظره في النّظام اللّغويّ لسورة النّساء، أنّ القرآن الكريم يأخذ في اعتباره اختلاف اللّهجات العربيّة. وهذا أمر على جانب كبير من الأهمّيّة. إذ إنّ عدم الالتفات إلى هذه اللّهجات أدّى بالنّحاة إلى: "التّمحّل والتّكلّف في الإعراب حتّى يخضعوا شواهد هذه اللّهجات للقواعد العامّة الّتي وضعوها، دون أن يُريحوا أنفسهم فيقولوا إنّ هذه لهجة من لهجات العرب"(٦).

وقد أفرز هذا التّمحّل وهذا التّكلّف قدرًا كبيرًا من العوارض الإعرابيّة الّتي أفضت بالنّحو العربيّ إلى التّعقيد، وتعدّد الوجوه والمسائل. وغير بعيد

---

(١) فتح الباري: ٣٩٠/١٢، صحح مسلم: ٣٧١/١، سنن الترمذي: ٥٦/٣

(٢) سورة النساء: الآية (٧٠)

(٣) سورة النساء: الآية (١٣٠)

(٤) سورة النساء: الآية (١٣٨)

(٥) سورة النساء: الآية (١٥٨)

(٦) ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها على القرآن الكريم، د. أحمد سليمان ياقوت، دار المعْرفة الجامعية، الاسكندرية: ١٢٠

عنّا نظر النّحاة إلى الآية الكريمة: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ (١)، حيث كانت مجالاً خصباً للدّرس النّحويّ، ووقفتْ هذه الآية أصدقَ دليل على طغيان الآفات الإعرابيّة على الدّراسات النّحويّة. فقد خُرّجتْ هذه الآية أكثر من سبعة تخريجات(٢).

ومثارُ هذا الاختلاف هو رفعُ (هذان) بالألف وكان حقّها أن تكون منصوبةً؛ لكونها اسماً لـ (إنّ)، عند مَنْ شدّد نون (إنّ) من القرّاء(٣).

وكان الأوفق أن يقال إنّها لغة بلحرث بن كعب وخثعم وزبيد وبعض بني عذرة. ونسبها الزّجّاج إلى كنانة، وابن جنّى إلى بعض بني ربيعة(٤).

وهذه القبائل كلّها تلزم المثنّى الألف وتعربه بحركات مقدّرة عليها، وإن شئت قلت: إنّهم يعاملون المثنّى معاملة الأسماء المقصورة.

ومن المعلوم أنّ "اللّهجة مجموعة من الصّفات تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللّهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضمُّ عدّة لهجات، لكلّ منها خصائصها، ولكنّها تشترك جميعاً في مجموعة من الظّواهر اللّغويّة الّتي تيسّر اتّصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض"(٥).

ولعلّ السّبب في وجود اللّهجات العربيّة ذاتها؛ يرجع إلى جغرافيّة الجزيرة العربيّة، وإلى الهجرات منها وإليها. بالإضافة إلى الغزو، ثمّ

---

(١) سورة طه: الآية (٦٣)

(٢) انظر حاشية الدّسوقي على المغني: ٥٣/١، وانظر القرآن الكريم وأثره في الدّراسات النّحويّة، عبد العال سالم مكرم، دار المعارف، ١٩٦٥م: ٣٢٧، وانظر نفح الطّيب في غصن الأندلس الرّطيب، أحمد بن محمّد المقري التّلمسانيّ، التّجاريّة الكبرى، ١٩٤٩م: ١٨٩/٧

(٣) انظر الحجّة في القراءات السّبع للإمام بن خالويه، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، ط١، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م: ٢٤٢

(٤) انظر تفسير الطّبريّ: ١٦، ١١٨

(٥) اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة، د. عبده الرّاجحي، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م: ١١

الفتوحات الإسلاميّة - فيما بعد- وما نتج عن ذلك من تأثير وتأثّر بين اللّغات السامية.

ولذلك فإنّ القرآن الكريم قد اعتدّ بهذه اللّهجات من حيث المفردات والتّراكيب، "وقد أَلِفَتْ ألسنةُ العرب - وهم أميّون لا يقرأون ولا يكتبون- كلماتِ القرآن على مناهجهم اللّفظيّة؛ لأنّها توافق طباعهم وتنسجم معها. وكانوا ينطقون اللّفظ على وجه يتّفق وما جرى عليه اعتيادهم في النّطق والحديث، فلا يكون متعذّرًا عليهم، ولا يكلّفهم ما لا طاقة لهم به إلّا بعد مِرَانٍ طويل هم أبعد ما يكونون عن التّفرّغ له"[١]. ومن هنا نشأت، في مرحلة متأخّرة من نزول القرآن، دراسات في مفردات القرآن، وغريبه وأوجه قراءاته.

وقد لَمِسْتُ في سورة النّساء جانبًا من المفردات الّتي تعود إلى لهجات بعض القبائل العربيّة مثل قريش[٢]، وجرهم، وهذيل[٣]، ومذحج، وخزاعة، وقيس عيلان[٤]، وهوازن[٥]. على النّحو الّذي يبينه الجدول الآتي[٦]:

---

(١) الأحرف السّبعة ومنزلة القراءات منها، د. حسن ضياء الدّين عتر، ط١، دار البشائر الإسلاميّة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م: ١٩٨

(٢) قريش: قبيلة عظيمة. وقريش ولد مالك بن النّضر بن كنانة. وقالوا: هم من ولد فهر بن مالك. انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، بيروت، ١٩٦٨م: ٩٤٧/٣. وانظر اللّهجات في "الكتاب" لسيبويه - أصواتًا وأبنية، صالحة راشد غنيم آل غنيم، ط١، دار المدنيّ، جدة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م: ٥٨

(٣) هذيل: بطن من مدركة بن إلياس، من العدنانيّة، وهم بنو هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ. كانت منازلهم بالسّروات، انظر معجم قبائل العرب: ١٢١٣/٣

(٤) قيس عيلان: تعود التّسمية إلى النّاس بن مضر. وقيل جاءت التّسمية لأنّه كان فقيرًا، وكان يسأل أخاه (إلياس) فقال له: "إن ما أنت عيّال عليّ" فسمّي (عيلان). وهي قبائل عدّة منها ثقيف وهوازن. انظر اللّهجات في كتاب سيبويه: ٥٨

(٥) هو هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس بن عيلان بن مضر . بطن من قيس بن عيلان من العدنانيّة، وله أفخاذ كثيرة. كانوا يقطنون في نجد ممّا يلي اليمن. ومن أوديتهم جنين. انظر معجم قبائل العرب: ١٢٣١/٣. وانظر اللّهجات في كتاب سيبويه: ٥٩

(٦) للمزيد في هذا الموضوع انظر: تفسير الجلالين، طبعة القاهرة، ١٩٥٤م. وانظر المقتبس من اللّهجات العربيّة القديمة، د. محمد سالم محيسن، دار الأنوار للطّباعة. وانظر كذلك: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيّان الأندلسيّ تحقيق: د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثيّ، ط١، مطبعة العاني، بغداد ١٣٩٧، ١٩٧٧م: ١١٤، ٢٣٣، ٢٦٤

جدول رقم (١٥): مفردات في سورة النساء يعود أصلها إلى لهجات بعض القبائل العربية

| الرقم | الكلمة | رقم الآية | معناها | القبيلة | رقم الصفحة | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | | تفسير الجلالين | المفصل في اللهجات العربية |
| ١ | سبيلاً | ١٥ | مخرجا | قريش | ٨٣/١ | ١١٣ |
| ٢ | موالي | ٣٣ | عصبة | قريش | ٨٥/١ | ١١٣ |
| ٣ | السّلم | ٩٤ | الصّلح | قريش | ٩٤/١ | ١١٣ |
| ٤ | الكلالة | ١٢ | الّذي لا ولد له ولا والد | قريش | ١٠٥/١ | ١١٣ |
| ٥ | تعولوا | ٣ | تميلوا | جرهم | ٧٨/٢ | ١١٨ |
| ٦ | مراغماً | ١٠٠ | منفسحاً | هذيل | ٩٦/١ | ١٢٠ |
| ٧ | مقيتاً | ٨٥ | مقتدراً | مذحج | ٩٣/١ | ١٢٣ |
| ٨ | أفضى | ٢١ | الإفضاء: الجماع | خزاعة | ٣٤/١ | ١٢٤ |
| ٩ | نِحلَة | ٤ | فريضة | قيس عيلان | ٧٨/١ | ١٢٦ |
| ١٠ | أن يفتنكم الذين كفروا | ١٠١ | يضلّكم | هوازن | ٩٦/١ | ٢٦ |

أما عن اعتداد القرآن الكريم باللّهجات العربيّة في جانب التّراكيب؛ فذلك أمر اطّلعت به كتب القراءات[١].

وقد أحصى الباحث حوالي أربعين موضعاً في سورة النّساء، وجّلعت القراءات فيها بناءً على اللّهجات العربيّة. وهذه المواضع هي:

١/ تساءلون ٢/ الأرحام ٣/ قياماً ٤/ ضعافاً ٥/ وسيصلون ٦/ وإن كانت واحدةً ٧/ فلأُمّه ٨/ يوصي بها ٩/ يدخله ١٠/ واللّذان يأتيانه ١١/ كرهاً ١٢/ مبيّنة ١٣/ محصنات، المحصنات

(١) انظر الحجة في القراءات السبع: ١٢٨/١١٨

١٤/ وأحلّ لكم ١٥/ فإذا أحصنّ ١٦/ إلاّ أن تكون تجارة ١٧/ مدخلاً
١٨/ واسألوا ١٩/ عقدت ٢٠/ بالبخل ٢١/ وإن تكُ حسنةً
٢٢/ تسوّى بهم الأرض ٢٣/ أو لامستم ٢٤/ إلاّ قليل منهم
٢٥/ كأن لم تكن ٢٦/ ولا تظلمون فتيلاً ٢٧/ بيّت طائفة
٢٨/ ومن أصدق ٢٩/ فتبيّنوا ٣٠/ السّلام لست مؤمناً
٣١/ غير أولي الضّرر ٣٢/ يؤتِ ٣٣/ يدخلون ٣٤/ أن يصلحا
٣٥/ الّذي نزّل، الّذي أنزل ٣٦/ وقد نزّل ٣٧/ في الدّرك
٣٨/ سوف يؤتيهم، سنؤتيهم ٣٩/ لا تعدوا ٤٠/ زبورا

ممّا تقدّم؛ فإنّ القرآن الكريم عندما اعتدّ باللّهجات العربيّة، قد وجد صلة بين القراءات والإعراب. ويبدو أنّها صلة قد قامت على أسس متينة. ويكفي "أنّ النُّحاة الأُوَل الّذين نشأ النّحو على أيديهم كانوا قُرّاء كأبي عمرو ابن العلاء، وعيسى بن عمر الثّقفيّ، ويونس، والخليل، ولعلّ اهتمامهم بهذه القراءات وجّههم إلى الدّراسة النّحويّة"(٣)، حتّى يلائموا بين ما أخذوا من القراءات وبين ما سمعوا من كلام العرب.

وكم كان القرآن، وما زال، "خير حافظ للّغات واللّهجات بفضل عناية القرّاء وتدقيقهم في الضّبط وتخريجهم في التّلقّي حتّى أنّهم ليراعون اليسير من الخلاف ويلقّنونه ويدوّنونه"(٤).

فالقرآن الكريم حوى كلّ التغيّرات الّتي طرأت باختلاف اللّهجات، وتمّ ذلك من خلال القراءات.

---

(٣) أثر القراءات في الدّراسات النّحويّة، د. عبد العال سالم مكرم، ١٩٨٦م: ٧٧

(٤) مجلّة كليّة الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٦٣م، من مقال للدكتور/ عبد الحليم النّجّار: ١٢

- **(٤) ظاهرة كسر البناء اللّغويّ في السّورة:**

يعدّ الكلام فصيحاً إذا وافق كلام العرب الفصحاء، وهو الكلام الّذي "استنبطت منه قواعد النّحويّين والصّرفيّين. وما يخالفه لا يعتدّ به، وما خالف في عصر الاحتجاج أحكام كلام العرب، فلا يجوز الحكم عليه بالخطأ، بل يحكم عليه بالشّذوذ"(١). ولذلك قد نجد كلاماً يكون فصيحاً في الشعر فقط، ولا يكون كذلك في النّثر.

وقد وقعت بعض المخالفات الّتي خرجت على القياس الصّرفيّ والنّحويّ في إنتاج كبار الكتّاب والشّعراء.. وقد مرّ بنا في الدّراسة الجامعيّة توقّف اللّغويّين والنّقّاد عند مداخلات الفرزدق(٢)، وشعر أبي تمّام(٣) والمتنبّي(٤)، وغيرهم. وقد عدّ بعضهم ذلك من الضّرورات الشّعريّة(٥).

ونلحظ أنّ هؤلاء الشّعراء قد أكثروا الخروج على قواعد النّحاة وأبنية الصّرفيّين في أبيات كثيرة من شعرهم، وخروجهم عليها لا يرجع -بطبيعة الحال- إلى عجز أو جهل بها، بل نجدهم في بعض الأحيان- يقصدون ذلك الخروج قصداً، ليحقّقوا به غرضاً جماليّاً، وهذا الغرض في نظرهم، ونظر نقّادهم، أهمّ بكثير من مراعاة القاعدة النّحويّة(٦). أو مراعاة البناء الصّرفيّ، لتلك التّراكيب الّتي جاءت على تلك الشّاكلة.

---

(١) رؤية فنّيّة لنصّ قرآنيّ، تأليف د. محمّد علي رزق الخفاجيّ، ط٢، دار المعارف، ١٩٩٤م: ١٢٢

(٢) انظر تاريخ النّقد الأدبيّ عند العرب، د. عبد العزيز عتيق، ط٤، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م: ١٨٢-١٨٣

(٣) انظر الموازنة بين الطّائيّين، الآمدي، حقّق أصوله وعلّق حواشيه محمّد محيى الدّين عبد الحميد، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م: ١٢٦

(٤) انظر الوساطة بين المتنبّي وخصومه، القاضي الجرجانيّ، تحقيق وشرح محمّد أبو الفضل إبراهيم وآخر، ط٣، دار إحياء الكتب العربيّة: ٦١

(٥) انظر الكتاب: ٢٦/١، وانظر كتاب ضرورة الشّعر: ٣٤

(٦) انظر رؤية فنّيّة لنصّ قرآنيّ: ١٢٣

وهذا القول ينبغي أن لا يؤخذ على إطلاقه؛ فقد ثبت أنّ النّابغة الذّبيانيّ قد أقرّ بإقواء[١] وقع فيه، وذلك في قوله[٢]:

أَمِـنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدِ * عَجْـلَانَ ذَا زَادٍ وغير مُزَوَّدِ

زَعَمَ البَوَارِحُ أَنّ مَوْعِدَنَا غَدَاً * وَبِذَاكَ خَبَّرَنَا الغُدَافُ الأَسْوَدُ[٣]

فقد ذكر المرزبانيّ[٤] أنّ النّابغة قدم المدينة؛ فعيب عليه هذا الإقواء فلم يأبه؛ إلى أن نبّهوه بطريقة تواترت في كتب النّقد[٥]. وما يهمّنا هنا أنّه قال: "دخلت يثرب وفي شعري شيء، وخرجت وأنا أشعر النّاس"[٦].

وظاهرة كسر البناء اللّغويّ ليست قاصرة على أدباء العربيّة الكبار فحسب، بل هي شائعة حتّى عند الأدباء العالميّين في عصرنا هذا "الّذين عرفوا بجودة الأسلوب في لغاتهم مثل فيكتور هيجو وفولتير وراسين في الأدب الفرنسيّ، وشكسبير وكوليردج وتوماس هادري في الأدب الإنجليزيّ،

---

(١) الإقواء: اختلاف حركة الرّوى في القصيدة. انظر نهاية الرّاغب في شرح عروض ابن الحاجب، تأليف الأسنويّ، تحقيق: د. شعبان صلاح، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م: ٣٦٩. وانظر الإقناع في العروض وتخريج القوافي، الصّاحب بن عباد، تحقيق الشّيخ/ محمّد حسن آل ياسين، منشورات المكتبة العلميّة: ٨٠

(٢) انظر ديوانه: ١٠٥

(٣) البارح ضد السّانح، وهو ما مرّ من الطّير والوحش من يمينك إلى يسارك، والعرب تتطيّر به لأنّك لا يمكنك أن ترميه حتّى تنحرف وعكسه السّانح. والغداف: الغراب، وتروى (موعدنا) رحلتنا. انظر: ديوان النّابغة: ١٠٥، تاريخ النّقد الأدبيّ: ٣٣

(٤) هو محمّد بن عمران بن موسى أبي عبيد الله المعروف بالمرزبانيّ، الخراسانيّ الأصل البغداديّ المولد. ولد سنة ٢٩٦هـ. كان راوية للأدب وصاحب أخبار، وكان ثقة في الحديث. له تصانيف كثيرة، أشهرها (الموشّح). توفّي سنة ٣٨٤هـ. انظر ترجمته في: وفيّات الأعيان: ٣٥٤/٤، إنباه الرّواه: ٢١٥/١، ٢٧١/٢، ٩٨/٣، ٦٢/٤

(٥) يشير الباحث إلى أنّهم جاءوا بقينة فغنّت البيتين وكانت تُشبع حركة الدّال وتطيلها (مغتدي) و (مزود) وفي البيت الآخر بيّنت الضّمّة في قوله: (الأسود)، ففطن بذلك إلى ما يريدون، فغيّر عروضه وجعله: "وبذاك تنعاب الغراب الأسود". انظر تاريخ النّقد الأدبيّ: ٣٤. وانظر فصول في النّقد الأدبي وتاريخه (دراسة وتطبيق)، د. ضياء الصّديقي ود. عباس محجوب، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، دار الوفاء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، المنصورة، ٦٣

(٦) تاريخ النّقد الأدبيّ: ٣٤

ولا يستطيع أحد أن يتّهم هؤلاء بالعجز عن إدراك قوانين التّراكيب في لغاتهم"[١].

فظاهرة كسر البناء اللّغويّ هذه قد شاعت في الدّراسات الأسلوبيّة، وتراثنا اللّغويّ والأدبيّ له الرّيادة، إذ سجّل أمثلة فريدة لها.

أمّا القرآن الكريم فله القِدْحُ المعلّى في ذلك؛ فقد استوعب اختلاف اللّهجات. ففيه لهجة تميم[٢]، وهذيل، ومذحج، وهوازن، وغيرها.

ولعلّ أشهر هذه اللّغات الّتي استوعبها القرآن، وتمثّل ظاهرة كسر البناء اللّغويّ خير تمثيل؛ هي لغة (أكلوني البراغيث) الّتي نسبها ابن هشام في مغني اللّبيب[٣] إلى طئ أو أسد شنوءة[٤] أو بلحرث بن كعب[٥]. فهم يثنّون الفعل إذا كان الفاعل مثنّى، ويجمعونه إن كان جمعاً.

ومن هنا نرى أنّ عبارة (أكلوني البراغيث) جاءت لأجل ذلك، إذ الوجه فيها أن يقال: (أكلتني البراغيث)، ولكنّهم جمعوا الفعل لأنّ الفاعل جمع.

وقد أحسن سيبويه صُنْعًا عندما بيّن ذلك بقوله: "واعلمْ أنّ من العرب من يقول: ضربوني قومك، وضرباني أخوَاك، فشبّهوا هذا بالتّاء الّتي يظهرونها في (قالت فلانة) أي تاء التّأنيث. فكأنّهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنّث وهي قليلة"[٦].

---

(١) رؤية فنّيّة لنصّ قرآنيّ: ١٢٣

(٢) تميم: قبيلة عظيمة من العدنانيّة، تنسب إلى تميم بن مرّة بن مضر بن نزار. ولتميم بطون كثيرة. انظر معجم القبائل العربيّة: ١٢٦/١، وانظر الخصائص النّحويّة والتّصريفيّة لقبيلة بني تميم، د. محمد أحمد الشّاميّ، ط١، جامعة الملك عبد العزيز، فرع المدينة المنوّرة، دار جامعة أم درمان الإسلاميّة للطّباعة والنّشر، ١٩٨٩م: ١١/٧

(٣) انظر مغني اللّبيب: ٣٥٤/٢

(٤) أسد شنوءة: فرع من الأسد بن الغوث بن كهلان من القحطانيّين، كانت منازلهم بعمان. انظر معجم القبائل العربيّة: ١٥/١

(٥) هم بنو بلحارث بن كعب فخذ من القحطانيّة. انظر المصدر نفسه: ٩٣/١

(٦) الكتاب: ٣٢٦/١

وقد وردت هذه اللّغة على شواهد كثيرة؛ منها الحديث: "**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُم مَلائِكَةٌ بِاللّيلِ وَمَلائِكَةٌ بِالنّهَارِ**"(١). ومن الشّعر العربيّ يجيء قول الشّاعر(٢):

**تولّى قِتَالَ المَارِقِينَ بِنَفْسِهِ * وَقَدْ أَسْلَمَاهُ مُبْعَدٌ وَحَمِيم**

وقول الشّاعر(٣):

**رَأَيْنَ الغَوَانِي الشَّيْبَ لاَحَ بِعَارِضِي * فَأَعْرَضْنَ عَنِّي بِالْخُدُودِ النَّوَاضِرِ**

وقول الآخر(٤):

**يَلُومُونَنِي فِي اشْتِرَاءِ النَّخِيلِ * أَهْلِي فَكُلّهُمْ أَلُومُ**

وجاء من هذه اللّهجة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ (٥). وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ (٦). ومن غير هذه اللّغة نجد في القرآن الكريم ظاهرة إبقاء حرف المدّ مع الجزم، كما في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ (٧). وكذلك قوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ (٨).

وفي سورة النّساء شيء من هذه الظّواهر: ظاهرة كسر البناء اللّغويّ ولغة (أكلوني البراغيث) وغيرها من الظّواهر الّتي خرجت على النظام اللّغويّ للنّحاة كما جاء في قوله تعالى:

---

(١) صحيح البخاريّ، باب فضل الصلاة: ٢٦٨/١، صحيح مسلم، فصل صلاتي الصّبح والعصر: ٤٣٩/١، موطّأ مالك: ١٧٠/١، مسند أحمد: ٣٣/٢، وانظر **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة النّاس**: ٣٨٩/٢

(٢) البيت لعبيد الله بن قيس الرّقيّات، يزري مصعب بن الزّبير رضي الله عنه. انظر شرح بن عقيل: ٤٦٩

(٣) البيت لأبي عبد الرّحمن بن عبد الله العتبيّ، من ولد عتبة بن أبي سفيان. انظر شرح بن عقيل: ٤٧١/١

(٤) ينسب البيت إلى أحيحة بن الجلاح. هكذا جاء في المغني: ٣٥٤/٢، ويروى (فكلّهم ألوم). وهو بدون نسبة في شرح ابن عقيل: ٤٧٠/١. ويروى (فكلّهم يعذل)

(٥) سورة الأنبياء الآية ( ٣ )

(٦) سورة المائدة الآية (٧١)

(٧) سورة الأعلى الآية ( ٦ )

(٨) سورة طه: الآية (٧٧)

- ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت﴾ (١)، حيث أثبت (النّون) من قوله (لا يؤمنون) وحذفها في قوله (لا يجدوا). مع أنّ الأداة الدّاخلة على الفعلين واحدة.
- وقوله تعالى: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ (٢). والوجه أن تأتي:
- حسب قياسات النّحويّين- على قولك: ما فعله إلا قليل منهم.
- وقوله تعالى: ﴿ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول﴾ (٣). حيث لم تلحق بالفعل (بيّت) تاء التّأنيث لكون الفاعل مؤنّث. ولا يكون ذلك عند النّحاة إلاّ إذا فصل بين الفعل وفاعله بحائل ولذلك أثارة من معنى في شرح ابن عقيل(٤):

**وَقَدْ يُبِيحُ الفَصْلُ تَرْكَ التّاءِ، فِي * نَحْوَ أَتَى القَاضِي بِنْتُ الوَاقِفِ**
**وإنّما تلزم فعل مُضْمَرِ * متّصلٍ أو مفهمٍ ذات جرِ**

ولم يقع الفصل في الآية الكريمة - كما رأينا -؛ وفي القرآن الكريم صورة أخرى أخذ بها، وهذا ما سيعالجه الباحث في ظاهرة التّلاؤم الصّوتيّ، والّتي سوف يتعرّض لها لاحقاً.

---

(١) سورة النّساء: الآية (٦٥)
(٢) سورة النّساء: الآية (٦٦)
(٣) سورة النّساء: الآية (٨١)
(٤) شرح بن عقيل: ٤٧٧/١

- **(٥) ظاهرة ارتباط الوقف بالإعراب وأثره في التّركيب النّحويّ لسورة النّساء:**

من المعلوم أنّ الوقف والإعراب يرتبطان مع بعضهما ارتباطاً وثيقاً. لأنّ الوقف يؤثّر في المعنى، لذا جاءت تقسيمات الوقف عند القرّاء[١] مقيسة بمقاييس الإعراب.

والوقف عنصر من العناصر الصّوتيّة في اللّغة، وقد عرّفه ابن الجزريّ[٢] بأنّه قطع الصّوت عن الكلمة زمناً يتنفّس فيه القارئ عادة بنيّة استئناف القراءة، إمّا بما يلي الموضع الموقوف عليه، أو بما قبله[٣]. وأصبح لزاماً على من يدرس الوقف في القرآن الكريم أن يكون من الملمّين به وبنظامه وشرائطه وما يعتور الكلمات فيه من تغيّر أثناءه[٤]. وأن يكون ملمّاً كذلك بأوجه الإعراب المختلفة، وما يتطلّبه كلّ وجه من وقف عند موضع معيّن.

ولعلّ من أكثر التّنويهات الّتي قالت بأهميّة الوقف قول أبي حاتم السّجستانيّ[٥]: "من لم يعرف الوقف لم يعرف القرآن"[٦] وهذا إن دلّ

---

(١) انظر **البرهان في علوم القرآن** للزّركشيّ: ٣٥٠

(٢) هو أبو الخير محمّد بن محمّد بن محمّد بن علي بن يوسف الدّمشقيّ، الشّهير بابن الجزريّ، الإمام الحجّة الثّبت المحقّق. ولد بدمشق سنة ٧٥١هـ. كان عالماً بالقراءات والحديث والفقه والأصول والمعاني والبيان. له مؤلّفات كثيرة أشهرها كتابه (النّشر في القراءات العشر). توفّي بشيراز سنة ٨٣٣هـ. انظر ترجمته في: **مقدّمة النّشر في القراءات العشر**: ٣/١، **تقريب النّشر في القراءات العشر**: ٥ – ٦

(٣) انظر **النّشر في القراءات العشر**، ابن الجزريّ، القاهرة، د.ت: ٢٤٠/١، وانظر: **تقريب النّشر في القراءات العشر**، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٨١هـ – ١٩٦١م: ٧٧

(٤) انظر **اللّهجات العربيّة في التّراث**– القسم الثّاني (النّظام النّحويّ)، د. أحمد علم الدّين الجنديّ، الدّار العربيّة للكتاب، طبعة جديدة، ١٩٨٣م: ٤٧٩

(٥) هو الإمام العلاّمة أبو حاتم أبو حمد بن عثمان السّجستانيّ، البصريّ، المقرئ، النّحو اللّغويّ. المتوفّى سنة ٢٥٥هـ. من أشهر كتبه: (المقاطع والمبادئ). انظر ترجمته في: **الفهرست**: ٨٧، **سير أعلام النّبلاء**: ٢٦٨/١٢، **غاية النّهاية**: ٣٢٠/١، **تاريخ الأدب العربيّ**: ١٦١/٢

(٦) **كتاب الوقف والابتداء**، محمد بن المنذر السجاوندي الغرونيّ، دراسة وتحقق د. محمّد هاشم درويش، ط١، عمّان، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م:٣٤ ، نقلاً عن **لطائف الإشارات لفنون القراءات**، القسطلانيّ، تحقيق عامر السّيد عثمان، و د. عبد الصّبور شاهين، المجلس الأعلى للشّئون الهندسيّة، د.ت: ٢٤٩/١

إنّما يدلّ على اهتمام المسلمين الأوائل بعلم الوقف إذ هم يساوون بينه وبين تعلّم القرآن نفسه.

وما يهمّنا من كلّ ذلك أنّ مراعاة الوقف وارتباطه بالإعراب؛ قد أثّر في البناء الجُمَلِيّ لسورة النّساء. فقد جاءت الجمل في السّورة على تقسيمات الوقف. ويورد الباحث أمثلة لذلك:

- ١/ لزوم وقوع وقف جائز في قوله: (ونساء) لأنّ الجملتين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ (١) و ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ (٢) وإن اتّفقتا في المعنى إلّا أنّه قد تمّ اعتراضهما بالمعطوفات.
- ٢/ وقوع الوقف في قوله تعالى: (دين) لأنّ قوله: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ (٣) يحتمل فيه خبر تقديره: (هم). ويصلح أن يكون (آباؤكم وأبناؤكم) مبتدأ جملة اسميّة خبرها (لا تدرون).
- ٣/ الوقوف على كلمة (بعلمه)، لأنّ قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ (٤) يصلح أن يكون جملة اسميّة واقعة مبتدأ، وخبره جملة فعليّة. يجيء الوقف مع اتّحاد المقصود من الجملتين.

---

(١) سورة النّساء: الآية (١)

(٢) سورة النّساء: الآية (١)

(٣) سورة النّساء: الآية (١١)

(٤) سورة النّساء: الآية (١٦٦)

- **(٦) إثراء المعجم اللّغويّ من ناحية المفردات والتّراكيب:**

من الثّابت أنّ القرآن الكريم قد ورث خصائص العربيّة في جانبي اللّفظ والمعنى. ومع ذلك، فإنّ القرآن قد قدّم مفردات جديدة، لم تكن تألفها العربيّة من قبل، فعمل على إثراء المعجم اللّغويّ.

والباحث من خلال تتبّعه لسورة النّساء بالدّراسة؛ قد ألْفَى شيئاً من ذلك. حيث تفرّدت سورة النّساء بمفردات ليست لها نظائرُ في سور القرآن الكريم. من تلك المفردات يذكر الباحث:

أ/ نحلة[١] ب/ بداراً[٢]

ج/ كلالة[٣] د/ مراغماً[٤]

أمّا من حيث التّراكيب؛ فإنّ استعمال السّورة لبعض المفردات قد أكسبها معنى جديداً، لم يكن مألوفاً في سنن العربيّة قبل نزول القرآن الكريم، فمن تلك المفردات:

- ١/ استعمال كلمة (الأكل) بمعنى الضّمّ لإفادة والانتفاع والاستحواذ على الشّيء. وقد جاء ذلك في أكثر من موضع في السّورة. كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾[٥]. وقوله: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا﴾[٦]. وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ

---

(١) انظر سورة النّساء: الآية (٤)

(٢) انظر سورة النّساء: الآية (٦)

(٣) انظر سورة النّساء: الآية (١٢)، (١٧٦)

(٤) انظر سورة النّساء: الآية (١٠٠)

(٥) سورة النّساء: الآية (٢)

(٦) سورة النّساء: الآية (٦)

أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ (١) وقوله جلّ وعلا: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ﴾ (٢).

وما زالت كلمة (الأكل) تستعمل هذا الاستعمال على سبيل الاتّساع في العربيّة المعاصرة: فصيحة ودارجة(٣). ففي مصر – على سبيل المثال يقولون: "اعمل معروف، إنت عايز تاكل عرقي وشقايا". وعندنا في السّودان نقول: "والله أكلني حنك عديل كده" أو "أكلني على عينك يا تاجر".

- ٢/ استعمال كلمة (الكلالة): في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ (٤) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ (٥). والكلالة عند الزّمخشريّ تطلق على ثلاثة: على من لم يخلف ولداً ولا والدا، وعلى من ليس ولد ولا والد من المخلفين، وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد(٦). لكنّ الكلالة في الأصل مصدر بمعنى (الكلال): وهو ذهاب القوّة من الإعياء(٧). قال الأعشى(٨):

**فَآلَيْتُ لَا أَرْثِي لَهَا مِن كَلَالَةٍ * وَلَا مِن حَفًى حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّدًا**

فاستُعِيرَ ليدلّ على القرابة من غير جهة الوالد والولد. واستعمال (الكلالة) في باب الإرث دلالة على أنّ لغة القرآن

---

(١) سورة النّساء: الآية (١٠)

(٢) سورة النّساء: الآية (١٦١)

(٣) انظر من بديع لغة التّنزيل، د. إبراهيم السّامرائيّ، ط١، دار الفرقان للنّشر والتّوزيع، عمان، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م: ٥١

(٤) سورة النّساء: الآية (١٢)

(٥) سورة النّساء: الآية (١٧٦)

(٦) انظر الكشّاف: ٤٨٥/١

(٧) انظر لسان العرب، مادّة (كلل): ١٤٢/١٢

(٨) انظر ديوانه: ٤٦

الكريم قد تمكّنت من اللّغة العربيّة؛ فحولّت طائفة من مفرداتها إلى مصطلحات جديدة، ما كانت تعرف عند العرب قبل الإسلام.

- ٣/ استعمال كلمة (يستنكف) في قوله تعالى: ﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ (١).

والمعنى لن يأنف المسيح، ولن يذهب بنفسه عزّة. من نكفت الدّمع إذا نحّيته عن خدّك(٢). لكن استعمال هذا الفعل في اللّغة العربيّة المعاصرة يختلف عن ما جاء في الآية الكريمة. فإذا قلت مثلاً: استنكف فلان عن المشاركة بأمر ما. فهذا يعني: أنّه عدل عن المشاركة، وانصرف وتراجع.

ويرى صاحب الكتاب: (من بديع لغة التّنزيل) أنّ الفعل (يستنكف) له حضور في العاميّة الدّارجة في حواضر العراق، بنفس دلالته في الآية الكريمة. فعندهم يقال: فلان يستنكف أن يشتغل سائقاً لسيّارة، أي يأنف ويذهب بنفسه عزّة(٣).

- **(٧) ظاهرة التّلاؤم الصّوتي بين حروف وكلمات السّورة:**

هذه الظّاهرة واضحة في سورة النّساء، يشعر بها القارئ لدى الوهلة الأولى. وتعدّ مرحلة ساميّة من الفصاحة والبيان.

وهذا "التّلاؤم الصّوتي من وجهة النّظر العلميّة نتاج لتركيب صوتي مخصوص بمقاييس معيّنة، وهذا يعني أنّ الأصوات الأوليّة تختلف في ذواتها وخصائصها عند إفرادها وفي حالة تركيبها، وكلّ صوت عند تركيبه يحدث له تغيير، قد يكون بالقوّة أو الضّعف،

---

(١) سورة النّساء: الآية (١٧٢)

(٢) انظر الكشاف: ٥٩٤/١

(٣) انظر من بديع لغة التنزيل: ٦٤

أو الذّوبان في صوت آخر، ويبرز التّلاؤم الصّوتي في امتزاج مجموعة من الأصوات وتلاحمها[١].

وتتمثّل هذه الظّاهرة في سورة النّساء خير تمثيل. وهي الّتي أملت النّظام الجُمَلِيّ فيها وطبعته بطابعها. وتبدو هذه الظّاهرة في عدّة وجوه منها:

أ/ التّلاؤم بين الحروف　　ب/ نسق فواصل الآيات

ج/ نسق تردّد الكلمات　　د/ تردّد بعض الجمل بلفظها

وسوف يكتفي الباحث باستعراض شيء يسير عن التّلاؤم بين الحروف، ونسق فواصل الآيات.

- **( أ ) التّلاؤم بين الحروف:**

تبدو أهميّة التّلاؤم بين الحروف ووظيفته في ضمّ الحروف إلى بعضها البعض وتعديلها في الكلمة، حتّى "يكون الكلام حسناً في السّمع، سهلاً في اللّفظ، فيدخل المعنى على النّفس دخول المستأنس. لما امتازت به من حسن الصّورة ووضوح الدّلالة"[٢].

وتأتي حروف القرآن الكريم، وكلّ منها قد أصاب موضعه من الكلمة وحسن في اللّفظ؛ حتّى ولو ضمّت الكلمة حروفاً متماثلة لم يفصل بينها فاصل. فلا عجب في ذلك. لأنّ ذلك من وضع عليم خبير. ومن مظاهر هذا التّلاؤم في سورة النّساء نلحظ الآتي:

١ / تكرار حرف (القاف) في كلمة (يشاقق) في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾[٣]، حيث

---

(١) انظر رؤية فنّيّة لنصّ قرآنيّ: ١٣٢، وانظر النّكت في إعجاز القرآن، للرّمّانيّ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمّد خلف الله، ود. محمّد زغلول سلام: ٨٧-٨٨ وانظر البيان العربيّ للدّكتور بدوي طبانه، ط٤، المطبعة الفنّيّة الحديثة، ١٣٨٨هـ: ٢٢٦-٢٢٧

(٢) انظر رؤية فنّيّة: ١٣٢

(٣) سورة النّساء: الآية (١١٥)

نرى أنّ الإدغام قد فكّ في الكلمة لحاجة صوتيّة يقتضيها حسن الأداء. ولم يتأتَ ذلك في كلمة ( يدرككّم) في قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾ (١). لأنّ الإدغام لو فكّ ههنا؛ لتوالى الحرف المتماثل وهو (الكاف)، فكان الاكتفاء بالكاف المدغمة إلى جانب (كاف) الخطاب. ولم يُفْعَلْ الشّيء نَفْسُه في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢)، لعدم وجود حاجة صوتيّة كالّتي نلحظها بين (القاف) و (الرّاء) من آية النّساء الّتي أشرنا إليها.

٢/ تكرار (لام) التّوكيد و (نونه) و (لام) الأمر في قوله تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ (٣). فبرغم ثقل هذه الحروف؛ إلّا أنّ حسن تلاؤمها ونسقها في كلماتها جعلها سهلة في النّطق، حسنة في اللّفظ والوقف. وذات القول يمكن أن يسري في قوله: (ليبطّئن) و (ليؤمننّ).

- **(ب) نسق فواصل الآيات:**

يتكوّن النّظام المقطعيّ لفواصل الآيات من وحدات صوتيّة يمكن للقارئ والسّامع - على السواء- إدراكها بيسر. وفواصل الآيات في سورة القرآن الكريم تنتهج مقاطع ذات خصائص صوتيّة فريدة؛ قد تلتقي أو تختلف من سورة لأخرى حسب

---

(١) سورة النساء: الآية (٧٨)

(٢) سورة الحشر الآية (٤)

(٣) سورة النساء: الآية (١١٩)

مقتضيات البناء الجُمَلِيّ في تلك السّورة. وهذه الفواصل تتراوح بين أنواع ثلاثة: متواز ومطرّف ومتوازن[١].

وهذا التّنوّع قد ساهم في إملاء السّياق النّحويّ الجُمَلِيّ في سورة النّساء. ونلمس ذلك في الجملة الخبريّة والجملة الاسميّة المنسوخة، على سبيل المثال.

**o (ب) النّتائج الّتي تتعلّق بتحليل التّركيب النّحويّ لسورة النّساء:**

يعدّ هذا القسم من النّتائج رصداً للتّحليل الّذي أجراه الباحث في التّركيب النّحوي لسورة النّساء، حيث شمل هذا التّركيب: الجملة الخبريّة بقسميها الجملة الاسميّة الأساسيّة، والجملة الاسميّة المنسوخة، والجملة الفعليّة، والجملة الإنشائيّة، والجملة الشّرطيّة، والجمل المكمّلة للإسناد الخبريّ. بالإضافة إلى بيان الباحث لمفهوم الجملة العربيّة وحقيقتها في الفصل الأوّل.

ومن خلال هذا التّحليل تمّ رصد جملة من النّتائج، وقد بدت على النّحو الآتي:

- **نتائج الفصل الأوّل:**
- (١) اختلف النّحاة في بيان حدّ الجملة العربيّة، فعند الذّين عمّموا المعنى: هي ما تألّف من مسند ومسند إليه. وعند الذّين خصّصوا هي: العبارة المفيدة فائدة يحسن السّكوت عليها.
- (٢) هنالك فرق بَيّن بَيْن الجملة والكلام والقول. فالكلام هو اللّفظ المفيد فائدة يحسن السّكوت عليها وعرّف كذلك على أنّه هو المركّب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى.

---

(١) انظر الفاصلة القرآنيّة: ١٩، وانظر كذلك: الفاصلة في القرآن، محمد الحسناويّ، ط٢، المكتب الإسلاميّ، بيروت، دار عمّار، عمّان، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م: ٢٣٩